# الأربعون النبوية

## في العزاء والتسلية

أحاديث تُسلِّي كل
محزون ومكروب ومهموم ومريض
وهي بشارة لكل من ضاقت عليه الحِيَل

جمع وترتيب
فيصل بن محمد القحيضب
غفر الله له ولوالديه ومن يقرأ والمسلمين

كتب الله أجر من طبعه ووالديه وبارك لهم

# الأربعون النبوية

## في العزاء والتسلية

أحاديث تُسلِّي كل
محزون ومكروب ومهموم ومريض
وهي بشارة لكل من ضاقت عليه الحِيَل

جمع وترتيب
فيصل بن محمد القحيضب
غفر الله له ولوالديه ومن يقرأ والمسلمين

كتب الله أجر من طبعه ووالديه وبارك لهم

ⓒ فيصل محمد حسين القعيضب ، ١٤٤٢هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

القعيضب ، فيصل محمد حسين
الأربعون النبوية في العزاء و التسلية. / فيصل محمد حسين القعيضب .- الدلم ، ١٤٤٢هـ
٦٢ ص ؛ ..سم

ردمك: ٦-٨١٩٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الحديث - مباحث عامة ٢- الحديث - شرح أ.العنوان
ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٤٢/١٠٧٦٧

**رقم الإيداع: ١٤٤٢/١٠٧٦٧**
**ردمك: ٦-٨١٩٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨**

# المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واقتدى بهداه ، أما بعد : فهذه أربعون حديثا من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام مع تعليق يسير عليها ،وهذه الأحاديث في جانب يهم كل مسلم ،ألا وهو التعزية والتسلية له فيما يصيبه من أكدار الحياة ومنغصاتها التي قدرها الله بحكمته وعلمه سبحانه ولا يسلم منها أي إنسان كما قال التهامي:

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها
صفواً من الأقذار والأكدار
ومُكلّفُ الأيام ضد طباعها
مُتطلبٌ في الماء جذوة نار

وإذا رجـــوت المســتحيل فإنمـا
تبنـي الـرجــاء على شفيرٍ هـار

وللأربعين هذه قصة وهي أني قرأت في كتاب (حكايات العلماء ) أمنية لأحد العلماء بجمع أربعين حديثاً تكون عزاء وتسلية للمصاب، بحيث أن من يقرأها وهو مهموم أو مصاب أو مريض ... تكون على قلبه كالماء البارد للعطشان ، فاختمرت هذه الفكرة في رأسي ، وشاورت فيها من أثق في رأيه ونصحه فاستحسن ذلك، فعزمت على الكتابة فيها ، لتكون تسلية وتعزية لي أولا ، ثم لمن يقرأها من إخواني المسلمين ثانياً وقد التزمت في هذه الأربعين من الأحاديث ما صح أو حَسُنَ واجتنبت ما كان ضعيفا، وطريقتي فيها أن أذكر أحياناً بعض الآيات المناسبة للباب كما هو صنع الإمام النووي في رياضه مع تعليق يسير على الآيات أحياناً، ثم أذكر الحديث مع التعليق عليه وأبين من أخرجه، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو له،

وإن كان في غيرهما ذكرت من أخرجه، ومن صححه أو حسنه من أهل العلم في علم الحديث، وقد جاءت بحمد الله شاملة لأبواب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع مما يسر ويبهج الناظر إليه بإذن الله تعالى، وتساهم في إزالة همه ، وجبر كسره ، والنظر للحياة بمنظار التفاؤل والعمل ، والنظر كما قيل : كم في المحن من منح ، و ((عَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)) و(( عَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا )) .

هذا وأسأل الله أن يبارك في هذا البحث وينفع به قارئه وناشره وكاتبه وأن يجعله حجة لي لا علي ،وختاما أقول:

إن تجـد عيـبا فسـد الخـللا
جـل مـن لا عيب فـيـه وعـلا

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

## باب ( كل شيء بقضاء وقدر)

قال تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾، وقال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه﴾ قال علقمة:(هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيُسلِّم لها ويرضَى)[1]

الحديث الأول : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)) [2]

(١) تفسير الطبري

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣) ( كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام )

هذا الحديث العظيم فيه تسلية عظيمة لمن تأملها وفقهها، فإن مايصيب الإنسان من هموم وغموم ... مكتوب في اللوح المحفوظ ، ومقدر من عند الله فلِمَ الهم والغم وهو لن يُذهب شيئا لأنه مكتوب ، ثم تذكر أن ما أصابك من الفجيعة والمصيبة إنما هو بقدر الله، لم يأت من عدو ولا حاسد، وإنما هو من أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين ، أفيحسن بالمسلم أن يعترض على مولاه!.

## باب فى أن ( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر )

وقوله تعالى ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)) وعن الحسن أنه قرأ هذه الآية : ( لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال : يكابد أمراً من أمر الدنيا ، وأمراً من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة[٣]

الحديث الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ )) رواه مسلم[٤]

(معنى هذا الحديث أن الدنيا مهما عظم أمرها،

(٣) تفسير ابن كثير

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨ / ٢١٠) برقم: (٢٩٥٦) ( كتاب الزهد والرقائق )

وطابت أيامها، وزهت مساكنها، فإنها للمؤمن بمنزلة السجن لأن المؤمن يتطلع إلى نعيم أفضل وأكمل وأعلى، وأما بالنسبة للكافر فإنها جنته لأنه ينعم فيها وينسى الآخرة، ويكون كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُم﴾، والكافر إذا مات لم يجد أمامه إلا النار والعياذ بالله، وويل لأهل النار، ولهذا كانت الدنيا على ما فيها من التنغيص والكدر والهموم والغموم كانت بالنسبة للكافر جنة، لأنه ينتقل منها إلى عذاب النار والعياذ بالله، فالنار بالنسبة له بمنزلة الجنة، وذكر عن ابن حجر العسقلاني رحمه الله صاحب فتح الباري وكان هو قاضي قضاة مصر في وقته كان يمر بالسوق على العربة في موكب، فاستوقفه ذات يوم رجل من اليهود، وقال له: إن نبيكم يقول: «إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وكيف ذلك وأنت في هذا الترف والاحتفاء، وهو يعني: نفسه اليهودي في غاية ما يكون من الفقر

والذل، فكيف ذلك فقال له ابن حجر رحمه الله: أنا وإن كنت كما ترى في احتفاء والخدم فهو بالنسبة لي بما يحصل للمؤمن من نعيم الجنة، وأنت بما أنت فيه من هذا الفقر والذل بالنسبة لما يلقاه الكافر في النار بمنزلة الجنة، فأعجب اليهودي هذا الكلام وشهد شهادة حق، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)[٥].

(٥) فتاوى نور على الدرب ، محمد بن عثيمين ،الشريط ١٦٥

## باب (فى أن الحياة الحقيقية هى الحياة الأخروية )

قال تعالى ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))

الحديث الثالث : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (( يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ

نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللهِ يَا رَبِّ . وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللهِ يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ )) رواه مسلم [٦]

وهذا الحديث فيه تسلية عظيمة لكل مصاب ومحزون ومهموم ومريض ...فكل نصب الدنيا ومشقاتها وأمراضها وهمومها وغمومها ذهبت بغمسة واحدة لأهل الطاعات الذين هم أهل الجنة ، بل إنهم نسوا كل ذلك بهذه الغمسة ، وبالمقابل كل ملذات الدنيا وشهواتها وأفراحها ذهبت بغمسة واحدة لأهل النار ، بل إنهم نسوا كل ذلك بهذه الغمسة.

(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨ / ١٣٥) برقم: (٢٨٠٧) ( كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا فِي النار وصبغ أشدهم بؤسا فِي الجنة )

فهذه الدنيا هي ممر وليست بمقر ، والدار الحقيقية هي الدار الأخروية.

الحديث الرابع :عن قيْسٌ قَالَ : سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ ( وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ ) فِي الْيَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ)) أخرجه مسلم(٧)

وهذا الحديث يبين حقارة الدنيا وأنها لا شيء يذكر أبداً أبداً بجانب الآخرة ، فيا مهموم ويا محزون كلها أيام سريعة وتجد فيها بإذن الله عاقبة صبرك واحتسابك وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الحديث الخامس : عَنْ سَهْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (( مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ

(٧) أخرجه مسلم في «صح يحه» (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٥٨) ( كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ).

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[٨]

فهذه الدنيا ببُهرجها وملذاتها موضع سوط في الجنة خير منها وما فيها ، لأنها دار غرور وفناء ، وأما الجنة فهي دار البقاء والملذات والمسرات ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، فلتصبر ولتفرح يا مصاب فليست هذه الدار الفانية المنقطعة بدارك الباقية ، فلك إن شاء الله ما تقر به عينك إن أنت صبرت واحتسبت ما يصيبك.

(٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤ / ١٧) برقم: (٢٧٩٤) ( كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله ) ، (ومسلم في «صحيحه» (٦ / ٣٦) برقم: (١٨٨١) ( كتاب الإمارة ، باب فضل الغدوة والروحة فِي سبيل الله )

## باب (فى أن الجزع والهلع مصيبة أخرى )

الحديث السادس : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي «. قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى [٩]

(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢ / ٧٣) برقم: (١٢٥٢) ( كتاب الجنائز ، باب قول الرجل للمرأة عند القبر اصبري ) ومسلم في «صحيحه» (٣ / ٤٠) برقم: (٩٢٦) ( كتاب الجنائز ، باب فِي الصبر على المصيبة عند أول الصدمة )

فهذه الصحابية لشدة ما ألَمَّ بها من الحزن والهم ، قد ردت النصيحة العظيمة من النبي عليه الصلاة والسلام، وحتى لو لم تكن تعرف أنه النبي عليه الصلاة والسلام فعدم قبول النصيحة والتذكير أمر غير مستحسن شرعا، وهكذا كل محزون إذا تجاوز حزنه وردة فعله حدود الشرع فإنه يزيد بذلك حزنه وهمه وغمه ، وكم رأينا وسمعنا عن إناس أصابهم الجزع والهلع الشديد ففعلوا أفعال ندموا عليها ، بل بعضهم وصل به الأمر إلى الانتحار وقتل نفسه نسأل الله العافية.

## باب فى (إعانة الله للصابرين )

وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ،إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))

الحديث السابع : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ [١٠]

(١٠) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢ / ١٢٢) برقم: (١٤٦٩) ( كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ) ، ومسلم في «صحيحه» (٣ / ١٠٢) برقم: (١٠٥٣) (كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر )

قال في تحفة الأحوذي (( وَمَنْ يَتَصَبَّرْ ) أَيْ يَطْلُبْ تَوْفِيقَ الصَّبْرِ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى : ((وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ)) أَوْ يَأْمُرُ نَفْسَهُ بِالصَّبْرِ وَيَتَكَلَّفُ فِي التَّحَمُّلِ عَنْ مَشَاقِّهِ وَهُوَ تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ ; لِأَنَّ الصَّبْرَ يَشْتَمِلُ عَلَى صَبْرِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْبَلِيَّةِ ، أَوْ مَنْ يَتَصَبَّرْ عَنِ السُّؤَالِ وَالتَّطَلُّعِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ بِأَنْ يَتَجَرَّعَ مَرَارَةَ ذَلِكَ وَلَا يَشْكُو حَالَهُ لِغَيْرِ رَبِّهِ ( يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ) بِالتَّشْدِيدِ : أَيْ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ الصَّبْرَ فَتَكُونُ الْجُمَلُ مُؤَكِّدَاتٌ ، وَيُؤَيِّدُ إِرَادَةَ مَعْنَى الْعُمُومِ قَوْلُهُ ( وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئًا هُوَ خَيْرٌ ) : أَيْ أَفْضَلُ ( وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ ) قَالَ الْقَارِي : وَذَلِكَ لِأَنَّ مَقَامَ الصَّبْرِ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِمَكَارِمِ الصِّفَاتِ وَالْحَالَاتِ وَلِذَا قُدِّمَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (( وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)) وَمَعْنَى كَوْنِهِ أَوْسَعَ أَنَّهُ تَتَّسِعُ بِهِ الْمَعَارِفُ وَالْمَشَاهِدُ وَالْأَعْمَالُ وَالْمَقَاصِدُ انْتَهَى )[11].

(١١) ١٥٣/٣

## باب فى أن ( كل قضاء فهو خير للمؤمن )

الحديث الثامن : عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ )) رواه مسلم[١٢]

قال في المفهم :( قوله : عجبا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير ) المؤمن هنا هو العالم بالله، الراضي بأحكامه، العامل على تصديق موعوده، وذلك أن المؤمن المذكور إما أن يبتلى بما يضره، أو بما يسره، فإن كان

(١٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨ / ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩) ( كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير )

الأول صبر واحتسب ورضي ، فحصل على خير الدنيا والآخرة وراحتهما ، وإن كان الثاني ، عرف نعمة الله عليه ومنته فيها ، فشكرها وعمل بها ، فحصل على نعيم الدنيا ونعيم الآخرة .

و( قوله : « وليس ذلك إلا للمؤمن « ) أي المؤمن الموصوف بما ذكرته ؛ لأنه إن لم يكن كذلك لم يصبر على المصيبة ولم يحتسبها، بل يتضجر ويتسخط ، فينضاف إلى مصيبته الدنيوية مصيبته في دينه ، وكذلك لا يعرف النعمة ولا يقوم بحقها ولا يشكرها ، فتنقلب النعمة نقمة والحسنة سيئة - نعوذ بالله من ذلك -[١٣] .

(١٣) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ٦٣٦/٦

## باب (فى حال المسلم مع الدعاء )

الحديث التاسع : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ دَعَا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدَعْوَةٍ ، إِلَّا اسْتَجَابَ ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِثْمٌ أَوْ قَطِيعَةُ رَحِمٍ - إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا « . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِذًا نُكْثِرُ ؟ قَالَ : « اللهُ أَكْثَرُ «[١٤]

(١٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١ / ٤٩٣) برقم: (١٨٢٢) ( كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ) وأحمد في «مسنده» (٥ / ٢٣١٧) برقم: (١١٣٠٢) وغيرهم وجوَّد إسناده المنذري في « الترغيب والترهيب «، وصححه الألباني في « صحيح الأدب المفرد « (٥٤٧)

(المسلم وظيفته أن يتعبد الله عز وجل بالدعاء وهو موقن بالإجابة ، مع إحسان الظن بالله سبحانه وتعالى ، والأخذ بأسباب الإجابة ، ثم يتوكل عليه عز وجل ، ويكل أمر جوابه إلى رحمته ولطفه وحكمته ، فهو جل وعلا أعلم بما يصلح العبد في الدنيا ، وينجيه في الآخرة ، المهم أن لا ييأس ولو طال الصبر والانتظار ، وأن لا يعجل فيقول : دعوت فلم يُستجب لي ، فالدعاء نفسه عبادة خاصة لله ، مقصودة بالذات ، وليست مقصودة للإجابة فحسب .وقد بوب عليه الإمام النووي رحمه الله في كتابه « الأذكار « (ص٤٠١) بقوله :» بابُ الدليل على أنَّ دعاء المسلم يُجاب بمطلوبه أو غيره « انتهى . فالمطلوب المعين – سواء كان من صلاح الدين أو صلاح الآخرة أو صلاح الدنيا – قد لا يتحقق في نفسه ، وإنما يحقق الله له بديله ، في الدنيا أو في الآخرة ، أو يصرف عنه في الدنيا من السوء بقدره )[١٥]

(١٥) انظر https://islamqa.info/ar/answers/229456

وهذا يذهب اليأس وسوء الظن الذي يأتي للإنسان أحيانا عندما يدعو ويدعو ويلح في الدعاء ثم لا يرى استجابة ظاهرة لحاجته فيصيبه ما يصيبه من جزع وقنوط ، وقد يكون الذي اُدُّخِر له أو صُرِف عنه من الشر أفضل بكثير جدا جدا من قضاء حاجته

## باب من (ثمرات البلاء )

**الثمرة الأولى : تكفير الذنوب ورفع الدرجات**

قال تعالى :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

الحديث العاشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (( مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ ، وَفِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ)) رواه الترمذي وابن حبان

والحاكم[١٦]

جعَل اللهُ ابتِلاءَ العبادِ بالمصائبِ والبَلايا كفَّاراتٍ للذُّنوبِ ومحوًا للسَّيِّئاتِ، وذلك أنَّ اللهَ إذا أحَبَّ عبدًا ابتَلاه لِيَغفِرَ له ذنوبَه، حتَّى إذا لقِيَه لم يكُنْ عليه خطيئةٌ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: «ما يَزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ»، أي: لا يَنفَكُّ العبدُ المؤمِنُ مِن البلاءِ فيظَلُّ مُبتَلًى، ويظَلُّ البلاءُ يتَنزَّلُ عليه، «في نَفسِه»، أي: في صِحَّتِه وجسَدِه، «وولَدِه»، أي: في أولادِه مِن مرَضٍ أو وفاةٍ أو عقوقٍ أو غيرِ ذلك، «ومالِه»، أي: مِن افتِقارٍ وذَهابِ تِجارةٍ وكَسادِ عيشٍ

(١٦) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٤ / ٢٠٤) برقم: (٢٣٩٩) ( أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في الصبر على البلاء و ابن حبان في «صحيحه» (٧ / ١٧٦) برقم: (٢٩١٣) ( كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا ، ذكر البيان بأن تواتر البلايا على المسلم قد لا تبقي عليه سيئة يناقش عليها في العقبى ) والحاكم في «مستدركه» (١ / ٣٤٦) برقم: (١٢٨٥) ( كتاب الجنائز ، لا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وصححه الألباني في صحيح الترمذي

وضيقٍ في الرِّزقِ، «حتَّى يَلْقى اللهَ وما عليه خَطيئةٌ»، أي: حتَّى يُكفِّرَ اللهُ عنه بذلك البلاءِ كلَّ ذُنوبِه وخَطاياه حتَّى إذا لَقِي اللهَ يكونُ قد طَهُر مِن كلِّ الذُّنوبِ والآثامِ الَّتي ارتكَبها، ويكونُ لهم على ذلك الجزاءُ الحسَنُ يومَ القيامةِ، وقد ورَد عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم أنَّه قال: «يوَدُّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ حينَ يُعطَى أهلُ البلاءِ الثَّوابَ لو أنَّ جُلودَهم كانت قُرِضَت في الدُّنيا بمقاريضَ»[١٧]، وفي الحديثِ: فضلُ البلاءِ وأثَرُه في تكفيرِ الذُّنوبِ، وبيانُ أنَّه مِن شأنِ الصَّالحين[١٨].

**الثمرة الثانية: أن من علامات الإيمان الصبر عند البلاء**

وقوله تعالى(( وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ )) قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

(١٧) سيأتي تخريجه والتعليق عليه بإذن الله

(١٨) انظر https://dorar.net/hadith/sharh/73311

الحديث الحادي عشر: عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))[١٩] .

فهذا الحديث يبين أن عدم الصبر والجزع ليس من علامات أهل الإيمان ، بل هي من علامات الجاهلية، فدل ذلك أن من صبر عند البلاء فهي علامة على صدق إيمانه

**الثمرة الثالثة : قوة البلاء وكثرته من علامات الإيمان**

قال تعالى ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ))

عن ابن إسحاق: « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة « وتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدة،

(١٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢ / ٨١) برقم: (١٢٩٤) ( كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب ) ومسلم في «صحيحه» (١ / ٦٩) برقم: (١٠٣) ( كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية )

وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صِدق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ[٢٠]

الحديث الثاني عشر :عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : ((الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ )).[٢١]

قال في فتح الباري (وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّ الْبَلَاءَ فِي مُقَابَلَةِ النِّعْمَةِ ، فَمَنْ كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ كَانَ بَلَاؤُهُ أَشَدَّ، وَمِنْ ثَمَّ ضُوعِفَ حَدُّ الْحُرِّ عَلَى الْعَبْدِ ، وَقِيلَ لِأُمَّهَاتِ

(٢٠) تفسير الطبري

(٢١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧ / ٤٦) برقم: (٧٤٣٩) ( كتاب الطب ، أي الناس أشد بلاء ) والترمذي في «جامعه» (٤ / ٢٠٣) برقم: (٢٣٩٨) ( أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في الصبر على البلاء) وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٩٩٢)

الْمُؤْمِنِينَ : { مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ } قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : فِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَوِيَّ يَحْمِلُ مَا حَمَلَ ، وَالضَّعِيفَ يُرْفَقُ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا قَوِيَتِ الْمَعْرِفَةُ بِالْمُبْتَلَى هَانَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى أَجْرِ الْبَلَاءِ فَيَهُونُ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ ، وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ دَرَجَةُ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذَا تَصَرُّفُ الْمَالِكِ فِي مِلْكِهِ فَيُسَلِّمُ وَلَا يَعْتَرِضُ ، وَأَرْفَعُ مِنْهُ مَنْ شَغَلَتْهُ الْمَحَبَّةُ عَنْ طَلَبِ رَفْعِ الْبَلَاءِ ، وَأَنْهَى الْمَرَاتِبِ مَنْ يَتَلَذَّذُ بِهِ لِأَنَّهُ عَنِ اخْتِيَارِهِ نَشَأَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ )[٢٢].

فكلما أحب الله عبداً زاد في بلاءه ، ولذلك خيار الناس وهم الأنبياء أشد الناس بلاءاً ، وبعض الناس يظن أن كثرة البلاء بسبب بغض الله أو سخطه لهذا الشخص والتحقيق في هذه المسألة أن يقال (الله يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، وقد يبتليهم بها لرفع درجاتهم وإعلاء ذكرهم ومضاعفة حسناتهم

(٢٢) ١١٧/١٠

كما يفعل بالأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- والصلحاء من عباد الله، كما قال النبي ﷺ: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وتارة يفعل ذلك سبحانه بسبب المعاصي والذنوب، فتكون العقوبة معجلة كما قال سبحانه: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)) ،فالغالب على الإنسان التقصير وعدم القيام بالواجب، فما أصابه فهو بسبب ذنوبه وتقصيره بأمر الله، فإذا ابتلي أحد من عباد الله الصالحين بشيء من الأمراض أو نحوها فإن هذا يكون من جنس ابتلاء الأنبياء والرسل رفعًا في الدرجات وتعظيمًا للأجور، وليكون قدوة لغيره في الصبر والاحتساب.

فالحاصل أنه قد يكون البلاء لرفع الدرجات وإعظام الأجور كما يفعل الله بالأنبياء وبعض الأخيار، وقد يكون لتكفير السيئات كما في قوله تعالى: ((مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ))وقول النبي ﷺ(( ما أصاب المسلم من هم

ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها))، وقوله ﷺ ((من يرد الله به خيرا يصب منه))[٢٣]

**الثمرة الرابعة : يُكتب له ما كان يعمله في صحته**

قال تعالى ((وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ))

{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} فلم يصادفوا عندك شيئا {قُلْتَ} لهم معتذرا: {لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره اللّه عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته

(٢٣) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٤/ ٣٧١).

الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.[٢٤]

الحديث الثالث عشر : عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَال النبي ﷺ: ((لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، إلا شركوكم في الأجر، قال: وهم بالمدينة قال: حبسهم العذر)) رواه مسلم[٢٥]

قال النووي :( فِي هَذَا الْحَدِيثِ : فَضِيلَةُ النِّيَّةِ فِي الْخَيْرِ ، وَأَنَّ مَنْ نَوَى الْغَزْوَ وَغَيْرَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ فَعَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مَنَعَهُ حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ نِيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ التَّأَسُّفِ عَلَى فَوَاتِ ذَلِكَ ، وَتَمَنَّى كَوْنَهُ مَعَ الْغُزَاةِ وَنَحْوِهُمْ كَثُرَ ثَوَابُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ )[٢٦].

(٢٤) تفسير السعدي

(٢٥) رواه مسلم: (١٥١٨/٣) باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر: برقم: (١٩١١)

(٢٦) شرح النووي على مسلم ١٣/ ٥٠

فيا مريض ويا من انقطع عن عمل صالح لعذر وبنيته أن يعمل هذا العمل لو ذهب ظرفه أبشر بأجرك التام الكامل فضلاً من الله وكرماً ومن المناسب هنا ذكر حديث النيات والعمل، فعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ .

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا لِهَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ ))[٢٧]

(٢٧) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٤ / ١٥٣) برقم: (٢٣٢٥) وابن ماجه في «سننه»

**الثمرة الخامسة : من علامة محبة الله للعبد وإرادته الخير له**

الحديث الرابع عشر : عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )) وفي رواية (( إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ )).رواه الترمذي وابن ماجة[٢٨]

(قَوْلُهُ : ( إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ ) بِالتَّشْدِيدِ أَيْ أَسْرَعَ ( لَهُ الْعُقُوبَةَ ) أَيِ الِابْتِلَاءَ بِالْمَكَارِهِ ( فِي الدُّنْيَا ) لِيَخْرُجَ مِنْهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ ، وَمَنْ فُعِلَ ذَلِكَ

---

(٥ / ٣٠٦) برقم: (٤٢٢٨) ، (٥ / ٣٠٧) برقم: (٤٢٢٨ ) وغيرهم وصححه ابن حجر في فتح الباري و الألباني في صحيح الجامع

(٢٨) الترمذي في «جامعه» (٤ / ٢٠٢) برقم: (٢٣٩٦) ( أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ) ، وابن ماجه في «سننه» (٥ / ١٥٩) برقم: (٤٠٣١) ( أبواب الفتن ، باب الصبر على البلاء )

مَعَهُ فَقَدْ أَعْظَمَ اللُّطْفَ بِهِ وَالْمِنَّةَ عَلَيْهِ ( أَمْسَكَ ) أَيْ : أَخَّرَ ( عَنْهُ ) مَا يسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ ( بِذَنْبِهِ ) أَيْ بِسَبَبِهِ ( حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) أَيْ حَتَّى يَأْتِيَ الْعَبْدُ بِذَنْبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ الطِّيبِيُّ : يَعْنِي لَا يُجَازِيهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يَجِيءَ فِي الْآخِرَةِ مُتَوَفِّرَ الذُّنُوبِ وَافِيهَا ، فَيَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ مِنَ الْعِقَابِ )[٢٩]

**الثمرة السادسة : البلاء من أعظم أسباب دخول الجنة**

الحديث الخامس عشر: عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللهَ لِي ، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ . فَقَالَتْ: أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ: أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: أَنَّهُ

(٢٩) تحفة الأحوذي ٢٨٥/٣

رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ عَلَى سِتْرِ الْكَعْبَةِ))
متفق عليه[٣٠]

ففي هذا الحديث أن صبر هذه الصحابية الجليلة على مرضها الشاق كان سبباً بفضل الله لدخولها للجنة، بل إنه عُرِف بين الصحابة وهي تمشي على الأرض بينهم أنها من أهل الجنة ، والحديث دليل على أن المرض لمن صبر عليه من أعظم أسباب دخول الجنة فهنيئا لها وللصابرين.

(وفيه فضيلة ما يترتب على الصبر على الصرع، وأن اختيار البلاء والصبر عليه يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه أنه يطيق التمادي على الشدة، ولا يضعف عن التزامها.)[٣١]

(٣٠) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧ / ١١٦) برقم: (٥٦٥٢) ( كتاب المرضى ، باب فضل من يصرع من الريح ) ومسلم في «صحيحه» (٨ / ١٦) برقم: (٢٥٧٦) ( كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن )
(٣١) عمدة القاري ٢١/ ٢١٤

فائدة جليلة ذكرها ابن القيم في زاد المعاد عن الصرع والأمراض التي لها علاقة بالمس وتخبط الشياطين أذكرها على طولها لما فيها من فائدة عظيمة ولعلاقتها بهذا البحث ، قال ــ رحمه الله ــ (الصَّرع صرعان : صَرعٌ من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصَرعٌ من الأخلاطِ الرديئة . والثاني : هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعِلاجه .

وأما صَرعُ الأرواح ، فأئمتُهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه ، ويعترفون بأنَّ علاجه بمقابلة الأرواحِ الشريفةِ الخيِّرةِ العُلْويَّة لتلك الأرواح الشِّريرة الخبيثة، فتدافع آثارها ، وتعارضُ أفعالَها وتُبطلها ، وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه ، فذكر بعضَ عِلاج الصَّرْعِ ، وقال : هذا إنما ينفع من الصَّرْع الذي سبَبُه الأخلاط والمادة . وأما الصَّرْع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج .

وأما جهلةُ الأطباء وَسقَطُهم وسفلَتُهم ، ومَن يعتقِدُ بالزندقة فضيلة ، فأُولئك يُنكِرون صَرْعَ الأرواح ، ولا يُقرون بأنها تُؤثر في بدن المصروع ، وليس معهم إلا الجهلُ ، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يَدفع ذلك، والحِسُّ والوجودُ شاهدٌ به ، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط ، هو صادق في بعض أقسامه لا في كلِّها.

وقدماءُ الأطباء كانوا يُسمون هذا الصَّرْعَ : المرضَ الإلهي ، وقالوا : إنه من الأرواح ، وأما ( جالينوس) وغيرُه ، فتأوَّلُوا عليهم هذه التسمية ، وقالوا : إنما سمُّوه بالمرض الإلهي لكون هذه العِلَّة تَحدُث في الرأس ، فَتضُرُّ بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنُه الدماغُ .

وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامِها ، وتأثيراتها ، وجاءت زنادقةُ الأطباء فلم يُثبتوا إلا صَرْع الأخلاطِ وحده .

ومَن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتِها يضحَكُ من جهل هؤلاء وضعف عقولهم .

وعِلاجُ هذا النوع يكون بأمرين : أمْرٍ من جهة المصروع ، وأمْرٍ من جهة المعالِج ، فالذي من جهة المصروع يكون بقوةِ نفسه ، وصِدْقِ توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوُّذِ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلبُ واللِّسان ، فإنَّ هذا محاربةِ ، والمحَارب لا يتمُّ له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا ، وأن يكون الساعدُ قويا، فمتى تخلَّف أحدُهما لم يُغن السلاح كثيرَ طائلٍ ، فكيف إذا عُدِمَ الأمران جميعا : يكونُ القلب خرابا من التوحيد ، والتوكل ، والتقوى ، والتوجه ، ولا سلاحَ له .

والثاني : من جهة المعالِج ، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضا ، حتى إنَّ من المعالجينَ مَن يكتفي بقوله

: ( اخرُجْ منه ) ، أو بقول : ( بِسْمِ الله ) ، أو بقول : ( لا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله ) ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقولُ : « اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ ، أنا رَسُولُ اللهِ « .

وشاهدتُ شيخنًا يُرسِلُ إلى المصروع مَن يخاطبُ الروحَ التي فيه ، ويقول : قال لكِ الشيخُ : اخرُجي ، فإنَّ هذا لا يَحِلُّ لكِ ، فيُفِيقُ المصروعُ ، وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروحُ مارِدةً فيُخرجُها بالضرب [٣٢]، فيُفيق المصروعُ ولا يُحِس بألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرُنا منه ذلك مرارا .

وكان كثيرا ما يَقرأ في أُذن المصروع : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)) وحدَّثني أنه قرأها مرة في أُذن المصروع ، فقالت الروح : نعمْ، ومد بها صوته . قال : فأخذتُ له عصا ، وضربتُه بها في عروق عنقه حتى كَلَّتْ يدَايَ من الضرب ، ولم يَشُكَّ

(٣٢) في حكم ضرب المسوس ضوابط وتقييدات انظرها في .https://islamqa.info/ar/answers/132673

الحاضرون أنه يموتُ لذلك الضرب . ففي أثناء الضرب قالت : أَنا أُحِبُّه ، فقلتُ لها : هو لا يحبك . قالتْ : أنَا أُريد أنْ أحُجَّ به . فقلتُ لها : هو لا يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ مَعَكِ ، فقالتْ : أنا أدَعُه كَرامةً لكَ ، قال : قلتُ : لا ولكنْ طاعةً للهِ ولرسولِه ، قالتْ : فأنا أخرُجُ منه ، قال: فقَعَد المصروعُ يَلتفتُ يمينا وشمالا ، وقال : ما جاء بي إلى حضرة الشيخ ؟ قالوا له : وهذا الضربُ كُلُّه ؟ فقال: وعلى أي شيء يَضرِبُني الشيخ ولم أُذْنِبْ ، ولم يَشعُرْ بأنه وقع به ضربُ ألبتة .

وكان يعالِجُ بآية الكرسيِّ ، وكان يأمر بكثرة قراءتها - المصروع ومَن يعالجه بها - وبقراءة المعوِّذتين .

وبالجملة ، فهذا النوعُ من الصَّرْع ، وعلاجه لا يُنكره إلا قليلُ الحظ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثرُ تسلطِ الأرواح الخبيثةِ على أهلهِ تكون من جهة قِلَّةِ دينِهم ، وخرابِ قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذِّكرِ ، والتعاويذِ،

والتحصُّناتِ النبوية والإِيمانيَّة ، فَتَلْقَى الروحُ الخبيثةُ الرجلَ أعزلَ لا سلاح معه ، وربما كان عُريانا فيُؤثر فيه هذا .

ولو كُشِفَ الغِطاء ، لرأيتَ أكثرَ النفوسِ البَشَريةِ صَرْعَى هذه الأرواحِ الخبيثةِ ، وهي في أسرِها وقبضتِها تسوقُها حيثُ شاءتْ ، ولا يُمكنُها الامتناعُ عنها ولا مخالفتها ، وبها الصَّرْعُ الأعظمُ الذي لا يُفيقُ صاحبُه إلا عند المفارقةِ والمعاينةِ ، فهناك يتَحقَّقُ أنه كان هو المصروعَ حقيقةً ، وبالله المستعان .

وعلاجُ هذا الصَّرْع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءتْ به الرُّسُل ، وأن تكون الجنَّةُ والنارُ نُصبَ عينيه وقِبلَة قَلْبِه ، ويستحضر أهلَ الدنيا ، وحلول المثلاتِ والآفات بهم ، ووقوعَها خلال ديارهم كمواقع القَطْر ، وهُم صَرعَى لا يُفيقون ، وما أشدَّ داءَ هذا الصَّرْعِ ، ولكن لما عَمَّتِ البليَّةُ به بحيثُ لا يرى إلا

مصروعا ، لم يَصرْ مستغرَبا ولا مستنكرا ، بل صار لكثرة المصروعين عَيْنَ المستنكَرِ المستغرَبِ خلافه .

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرا أفاقَ من هذه الصَّرْعة ، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حولَه يمينا وشمالا على اختلافِ طبقاتهم ، فمنهم مَن أطبَقَ به الجنونُ ، ومنهم مَن يُفيق أحيانا قليلةً ، ويعودُ إلى جنونه ، ومنهم مَن يُفيق مرةً ، ويُجَنُّ أُخرى ، فإذا أفاق عَمِل عَمَل أهلِ الإفاقةِ والعقل ، ثم يُعَاوِدُه الصَّرْعُ فيقعُ في التخبط)[٣٣]

**الثمرة السابعة : بلوغ المنازل العالية**

الحديث السادس عشر : عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ السَّلَمِيُّ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ(( إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغهَا بعملهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ

(٣٣) ٤٦/٤

أو في مالهِ أو في ولدِهِ ثم صبرَّهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى))[٣٤]

ففي هذا الحديث بيان ثمرة الصبر على البلاء ، وأنه لولا البلاء لما وصل الإنسان للمنازل العالية في الجنة ، وإن من الخير للإنسان أن يبتليه ثم يصبره على مصيبته ، قال بعض السلف ( لولا الآخرة لوردنا الآخرة مفاليس)[٣٥]

**الثمرة الثامنة : إظلالهم يوم القيامة**

الحديث السابع عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي

(٣٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣ / ١٥٠) برقم: (٣٠٩٠) ( كتاب الجنائز ، باب الأمراض المكفرة للذنوب ) وأحمد في «مسنده» (١٠ / ٥٢٥٥) برقم: (٢٢٧٦٩) ( مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث رجل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ )
(٣٥) صفة الصفوة لابن الجوزي (ج ٤ / ص ٣٨)

اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .)) رواه البخاري ومسلم[٣٦]

والمتأمل في هذا الحديث يجد أن رابطة الصبر والتقوى ومراقبة الله هي الجامع بينهم ، فالإمام العادل عدل مع قدرته على الظلم ، وقاوم رغبات نفسه وصبَّرها على ذلك ، والشاب نشأ في الطاعة وقاوم رغبات نفسه بالصبر على الطاعة ، والرجل الذي بعده صابر نفسه بلزوم المساجد والبقاء فيها ، وهكذا في جميع الأجناس الباقية

(٣٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١ / ١٣٣) برقم: (٦٦٠) ( كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ) ومسلم في «صحيحه» (٣ / ٩٣) برقم: (١٠٣١) ( كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة )

## باب ذكر بعض مذهبات الحزن

**الأمر الأول / التعزي بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام.**

الحديث الثامن عشر :وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((فتحَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ باباً بينهُ وبينَ الناسِ، أو كَشَفَ سِتراً، فإذا الناسُ يُصلُّونَ وَرَاءَ أبي بكرٍ رضي الله عنه، فَحَمِدَ اللهَ على ما رأى من حُسْنِ حالِهِم، ورَجَا أن يَخلُفَهُ اللهُ فيهم بالذي رآهُم، فقالَ: يا أيها الناسُ، أيُّما أحَدٍ من الناسِ، أو من المؤمنينَ، أُصيبَ بمصيبَةٍ فليَتَعَزَّ بمصيبتِهِ بي عن المصيبةِ التي تُصيبُهُ بغيرِي، فإن أحَداً من أُمَّتي لَن

يُصابَ بمُصيبَةٍ بعدي أشَدَّ عليهِ من مُصيبتي))[٣٧]

قال السندي في حاشيته على ابن ماجة (( فَلْيَتَعَزَّ) وَيُخَفِّفَ عَلَى نَفْسِهِ مُؤْنَةَ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِتَذَكُّرِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ إِذِ الصَّغِيرَةُ تَضْمَحِلُّ فِي جَنْبِ الْكَبِيرَةِ ؛ فَحَيْثُ صَبَرَ عَلَى الْكَبِيرَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُبَالِيَ بِالصَّغِيرَةِ)[٣٨]

ووجه كونها أعظم مصيبة ، أن المصائب والبلايا يمكن أن يعتاض عنها الإنسان بغيرها ، وأما مصيبة موت النبي عليه الصلاة والسلام فليس بعدها عِوض ، فبموته خُتِم الرسل ، وانقطع الوحي ، وانتهت العصمة، ثم هو خير البشر وأحب الناس لنا ، ومعروفه وفضله

(٣٧) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢ / ٥٣١) برقم: (١٥٩٩) ( أبواب الجنائز ، باب ما جاء فِي الصبر على المصيبة ) والطبراني في «الأوسط» (٤ / ٣٦٥) برقم: (٤٤٤٨) ( باب العين ، عبد الله بن الوليد البصري ) والطبراني في «الصغير» (١ / ٣٦٦) برقم: (٦١٢) ( باب العين ، من اسمه عبد الله ) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة وكذلك في صحيح الجامع

(٣٨) ٤٨٥/١

علينا مستمر فهو الذي أرسله الله ليبلغنا دينه ويرشدنا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، فأي مصيبة يمكن أن تقاربها أو تشابها ؟! فكل مصيبة بعدها هينة

**الأمر الثاني / التعزي بمن أصيب بمصيبة أعظم**

الحديث التاسع عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(( انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ . ))(٣٩)

قال ابن حجر(قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِمَعَانِي الْخَيْرِ لِأَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ بِحَالٍ تَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ مُجْتَهِدًا فِيهَا إِلَّا وَجَدَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ، فَمَتَى طَلَبَتْ نَفْسُهُ اللَّحَاقَ بِهِ اسْتَقْصَرَ حَالَهُ ، فَيَكُونُ أَبَدًا فِي زِيَادَةٍ تُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَلَا يَكُونُ عَلَى حَالٍ خَسِيسَةٍ مِنَ

(٣٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨ / ١٠٢) برقم: (٦٤٩٠) ( كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه ) ومسلم في «صحيحه» (٨ / ٢١٣) برقم: (٢٩٦٣) ( كتاب الزهد والرقائق ، )

الدُّنْيَا إِلَّا وَجَدَ مِنْ أَهْلِهَا مَنْ هُوَ أَخَسُّ حَالًا مِنْهُ . فَإِذَا تَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ وَصَلَتْ إِلَيْهِ دُونَ كَثِيرٍ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ أَوْجَبَهُ فَيُلْزِمُ نَفْسَهُ الشُّكْرَ ، فَيَعْظُمُ اغْتِبَاطُهُ بِذَلِكَ فِي مَعَادِهِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَوَاءُ الدَّاءِ ، لِأَنَّ الشَّخْصَ إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يُؤَثِّرَ ذَلِكَ فِيهِ حَسَدًا ، وَدَوَاؤُهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى الشُّكْرِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي نُسْخَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَفَعَهُ قَالَ : خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا : مَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ . وَأَمَّا مَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ فَإِنَّهُ لَا يُكْتَبُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا)[٤٠]

(٤٠) فتح الباري ٣٢٩/١١

**الأمر الثالث / تذكر نعم الله**

قال تعالى :﴿وَإِن تَعُدُّوا۟نِعمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحصوهَا إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُور رَّحِيم﴾

قال السعدي في تفسيره: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عددا مجردا عن الشكر ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فضلا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.)

وقال الشوكاني في فتح القدير (قالَ العُقَلاءُ: إنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِن أجْزاءِ الإنْسانِ لَوْ ظَهَرَ فِيهِ أدْنى خَلَلٍ وأيْسَرُ نَقْصٍ لَنَغَّصَ النِّعَمَ عَلى الإنْسانِ، وتَمَنّى أنْ يُنْفِقَ الدُّنْيا لَوْ كانَتْ في مِلْكِهِ حَتّى يَزُولَ عَنْهُ ذَلِكَ الخَلَلُ، فَهو سُبْحانُهُ يُدِيرُ بَدَنَ هَذا الإنْسانِ عَلى الوَجْهِ المُلائِمِ لَهُ، مَعَ أنَّ

الإنْسانَ لا عِلْمَ لَهُ بِوُجُودِ ذَلِكَ فَكَيْفَ يُطِيقُ حَصْرَ بَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ أوْ يَقْدِرُ عَلى إحْصائِها، أوْ يَتَمَكَّنُ مِن شُكْرِ أدْناها ؟... وما أحْسَنُ ما خَتَمَ بِهِ هَذا الِامْتِنانَ الَّذِي لا يَلْتَبِسُ عَلى إنْسانٍ مُشِيرًا إلى عَظِيمِ غُفْرانِهِ وسِعَةِ رَحْمَتِهِ فَقالَ: ﴿إنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أيْ كَثِيرُ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ لا يُؤاخِذُكم بِالغَفْلَةِ عَنْ شُكْرِ نِعَمِهِ، والقُصُورِ عَنْ إحْصائِها، والعَجْزِ عَنِ القِيامِ بِأدْناها، ومِن رَحْمَتِهِ إدامَتُها عَلَيْكم وإدْرارُها في كُلِّ لَحْظَةٍ وعِنْدَ كُلِّ نَفَسٍ تَتَنَفَّسُونَهُ وحَرَكَةٍ تَتَحَرَّكُونَ بِها.)

الحديث العشرون : عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالُ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟)) رواه الترمذي وابن ماجة[٤١]

(٤١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٥ / ٣٧٦) برقم: (٣٣٥٨) ( أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر ) وابن

(بعض الناس لا يستشعر النعم العظيمة التي وهبه الله إياها، فلا يدرك النعمة التي في شربة الماء، ولقمة الطعام، وفيما وهبه الله من مسكن وزوجة وأولاد، ويظن أن النعم تتمثل في القصور والبساتين والمراكب فحسب، فقد سأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. فأنت من الأغنياء. قال فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك.[٤٢])[٤٣]

فيامن ابتلي تفكر وتذكر النعم العظيمة التي تعيش في كنفها ، والتي تحيط بك أينما اتجهت ، وعندها

---

حبان في «صحيحه» (١٦ / ٣٦٤) برقم: (٧٣٦٤) ( كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذكر الإخبار عن سؤال الرب جل وعلا عبده في القيامة عن صحة جسمه في الدنيا ) وصححه الألباني

(٤٢) رواه مسلم (٢٩٧٩).

(٤٣) https://dorar.net/aqadia/2601/%D8%A7%D984%%D985%%D8%B7%D984%%D8%A8-

ستقول بملء فيك ( الحمد لله ).

**الأمر الرابع / تذكر أن مرارة الدنيا هي حلاوة الآخرة وبالعكس**

الحديث الحادي والعشرون :عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ .))[٤٤]

قال ابن حجر (وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَدِيعِ بَلَاغَتِهِ فِي ذَمِّ الشَّهَوَاتِ وَإِنْ مَالَتْ إِلَيْهَا النُّفُوسُ ، وَالْحَضِّ عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِنْ كَرِهَتْهَا النُّفُوسُ وَشَقَّ عَلَيْهَا ، وَقَدْ وَرَدَ إِيضَاحُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ[٤٥] مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٤٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨ / ١٠٢) برقم: (٦٤٨٧) ( كتاب الرقاق ، باب حجبت النار بالشهوات ) ومسلم في «صحيحه» (٨ / ١٤٣) برقم: (٢٨٢٣) ( كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، )

(٤٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦ / ٤٠٦) برقم: (٧٣٩٤) والحاكم في «مستدركه» (١ / ٢٦) برقم: (٧٢) والنسائي في «الكبرى» (٤ / ٤٣٠) برقم:

رَفَعَهُ : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ . فَهَذَا يُفَسِّرُ رِوَايَةَ الْأَعْرَجِ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَكَارِهِ هُنَا مَا أُمِرَ الْمُكَلَّفُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا ، كَالْإِتْيَانِ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا. وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا الْمَكَارِهَ لِمَشَقَّتِهَا عَلَى الْعَامِلِ وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ جُمْلَتِهَا الصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا ; وَالْمُرَادُ بِالشَّهَوَاتِ مَا يُسْتَلَذُّ

(٤٦٨٤) وأبو داود في «سننه» (٤ / ٣٨٠) برقم: (٤٧٤٤) والترمذي في «جامعه» (٤ / ٣١٩) برقم: (٢٥٦٠) وأحمد في «مسنده» (٢ / ١٧٦٣) برقم: (٨٥١٤)

مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِمَّا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ تَعَاطِيهِ إِمَّا بِالْأَصَالَةِ ، وَإِمَّا لِكَوْنِ فِعْلِهِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ ، وَيُلْتَحَقُ بِذَلِكَ الشُّبُهَاتُ ، وَالْإِكْثَارُ مِمَّا أُبِيحَ خَشْيَةَ أَنْ يُوقِعَ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَشَقَّاتِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالْمَكْرُوهَاتِ ، وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِتَعَاطِي الشَّهَوَاتِ ، وَهُمَا مَحْجُوبَتَانِ ، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ اقْتَحَمَ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ الْخَبَرِ فَالْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ . وَقَوْلُهُ « حُفَّتْ « بِالْمُهْمَلَةِ وَالْفَاءُ مِنَ الْحِفَافِ وَهُوَ مَا يُحِيطُ بِالشَّيْءِ حَتَّى لَا يُتَوَصَّلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّيهِ ، فَالْجَنَّةُ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِقَطْعِ مَفَاوِزِ الْمَكَارِهِ ، وَالنَّارُ لَا يُنَجَّى مِنْهَا إِلَّا بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ .)[٤٦]

وقال ابن القيم في الطب النبوي (ومِن عِلاجها ــ أي المصيبة ــ : أن يعلم أنَّ مرارةَ الدنيا هي بعينها حلاوةُ الآخرة ، يَقلِبُها الله سبحانه كذلك ، وحلاوة الدنيا

(٤٦) ٣٢٧/١١

بعينها مرارةُ الآخرة ، ولأَنْ ينتقل مِن مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خيرٌ له من عكس ذلك ، فإن خَفي عليك هذا ، فانظر إلى قول الصادق المصدوق :» حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارهِ ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ» ، وفي هذا المقام تفاوتت عقولُ الخلائق ، وظهرت حقائقُ الرجال ، فأكثرُهم آثرَ الحلاوةَ المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ، ولم يحتمل مرارةَ ساعةٍ لِحلاوة الأبد ، ولا ذُلَّ ساعةٍ لِعزِّ الأبد ، ولا مِحنةَ ساعةٍ لعافيةِ الأبد ، فإنَّ الحاضر عنده شهادةٌ ، والمنتظر غيبٌ ، والإيمان ضعيفٌ ، وسلطانُ الشهوة حاكم ، فتوَلَّد من ذلك إيثارُ العاجلة ، ورفضُ الآخرة ، وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأُمور ، وأوائلها ومبادئها ، وأما النظر الثاقب الذي يَخرِق حُجُب العاجلة ، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات ، فله شأنٌ آخرُ .

فادع نفسك إلى ما أعدَّ الله لأوليائه وأهل طاعته من

النعيم المقيم ، والسعادة الأبدية ، والفوز الأكبر، وما أعدَّ لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ، ثم اخترْ أي القسمَيْن أليقُ بك، وكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، وكُلُّ أحد يصبُو إلى ما يُناسبه ، وما هو الأَوْلَى به ، ولا تستطِلْ هذا العلاج ، فشدةُ الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه ، وبالله التوفيق .)[٤٧]

**الأمر الخامس / الاستعانة بما ورد في الأدلة أنه مُذهب للحزن وجالب للأنس والراحة ومن ذلك :**

أولاً/ الصلاة قال تعالى :﴿وَٱستَعِينُوا بِٱلصَّبرِ وَٱلصَّلَوٰة وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلخَٰشِعِينَ﴾

قال السعدي (أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس

(٤٧) ١٤٠/١

النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.)

الحديث الثاني والعشرون : عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ قَالَ مِسْعَرٌ : أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ . فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ ، أَرِحْنَا بِهَا .))[٤٨]

(٤٨) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤ / ٤٥٣) برقم: (٤٩٨٥) ( كتاب الأدب ، باب في

قال في عون المعبود (قَالَ فِي النِّهَايَةِ : أَيْ نَسْتَرِيحُ بِأَدَائِهَا مِنْ شُغْلِ الْقَلْبِ بِهَا ، وَقِيلَ : كَانَ اشْتِغَالُهُ بِالصَّلَاةِ رَاحَةً لَهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَعُدُّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ تَعَبًا فَكَانَ يَسْتَرِيحُ بِالصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِنْ مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا قَالَ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ، وَمَا أَقْرَبُ الرَّاحَةِ مِنْ قُرَّةِ الْعَيْنِ)[٤٩]

قال ابن القيم بعد ذكره لمن صلى بعد قيامه بشروط وأركان الصلاة كما ينبغي (...فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فنستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح

صلاة العتمة ) ، (٤ / ٤٥٣) برقم: (٤٩٨٦) ( كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة) وأحمد في «مسنده» (١٠ / ٥٤٧٦) برقم: (٢٣٥٥٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٩٨٥

(٤٩) ٤٥٣/٤

بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم: «يا بلال أرحنا بالصلاة» ولم يقل: أرحنا منها. وقال صلى الله عليه وسلم: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة» فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل، فتقول: «حفظك الله كما حفظتني»، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلفّ كما يلف الثوبُ الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: «ضيعك الله كما ضيعتني». )[٥٠]

الحديث الثالث والعشرون : عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى .)) رواه أبو داود وأحمد[٥١]

(٥٠) الوابل الصيب ٢١

(٥١) أخرجه أبو داود في «سننه» (١ / ٥٠٧) برقم: (١٣١٩) ( كتاب الصلاة ، باب

قال في الطب النبوي (وللصلاة تأثيرٌ عجيب في دفع شُرور الدنيا ، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهرا وباطنا ، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة ، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة ، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللهِ - عز وجل - وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه - عز وجل - تُفتح عليه من الخيرات أبوابَها ، وتُقطعُ عنه من الشرور أسبابَها ، وتُفِيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه - عز وجل - والعافية والصحة ، والغنيمة والغِنى ، والراحة والنعيم ، والأفراح والمسرَّات، كلها محضرةٌ لديه ، ومسارِعةٌ إليه .)[٥٢]

---

وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ) وأحمد في «مسنده» (١٠ / ٥٥٣٦) برقم: (٢٣٧٧٣) ( مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) وحسنه ابن حجر في فتح الباري ٢٠٤/٣

(٥٢) ٢٣٩/١

**ثانياً: قول ما ورد من الأدعية والأذكار المذهبة للحزن والجالبة للأنس والتفريج ومن ذلك :**

١ــ الحديث الرابع والعشرون : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .)) رواه البخاري ومسلم(٥٣)

قال النووي (وَهُوَ حَدِيثٌ ينبغي جَلِيلٌ الِاعْتِنَاءُ بِهِ ، وَالْإِكْثَارُ مِنْهُ عِنْدَ الْكُرَبِ وَالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ)(٥٤).

وقال في المفهم (قال الطبري : كان السلف يدعون بهذا الدعاء ، ويسمونه : دعاء الكرب ، فإن قيل : كيف يسمى هذا دعاء وليس فيه من معنى الدعاء شيء ،

(٥٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨ / ٧٥) برقم: (٦٣٤٥) ( كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ) ومسلم في «صحيحه» (٨ / ٨٥) برقم: (٢٧٣٠) ( كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب دعاء الكرب )

(٥٤) ٢٠٧/١٧

وإنَّما هو تعظيم لله تعالى ، وثناء عليه ؟ فالجواب : إن هذا يسمى دعاء لوجهين :

أحدهما : أنه يستفتح به الدعاء ، ومِن بعده يدعو . وقد ورد في بعض طرقه : « ثم يدعو»

وثانيهما : أن ابن عيينة قال - وقد سئل عن هذا - : أما علمت أن الله تعالى يقول : « إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين [٥٥]؟ « . وقد قال أمية بن أبي الصلت :

إذا أثنى عليك المرء يوما  كفاه من تعرضك الثناء

قلت : وهذا الكلام حسن ، وتتميمه أن ذلك إنما كان

(٥٥) وقد ضعف هذا الحديث الشيخ الألباني رحمه الله في « الضعيفة « (٤٩٨٩) ، وعلماء اللجنة الدائمة ، كما في « فتاوى اللجنة « (٢٤/ ١٩١) ، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله كما في « فتاوى نور على الدرب « (٦/ ٢) وقال :
« لأن مسألة الله تعالى من عبادته كما قال الله تعالى : ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فالإنسان مأمور بالذكر ومأمور بالدعاء ، ولا يغني أحدهما عن الآخر « انتهى . وللزيادة انظر https://islamqa.info/ar/answers/٢١٩٨٠٤

لنكتتين :

إحداهما : كرم المثنى عليه ، فإنه إذا اكتفى بالثناء عن السؤال دل ذلك على سهولة البذل عليه ، والمبالغة في كرم الحق .

وثانيهما : أن المثني لما آثر الثناء ، الذي هو حق المثنى عليه على حق نفسه الذي هو حاجته ، بودر إلى قضاء حاجته من غير إحواج إلى إظهار مذلة السؤال ؛ مجازاة له على ذلك الإيثار ، والله تعالى أعلم .)[٥٦]

٢ــ الحديث الخامس والعشرون عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (( مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ

(٥٦) ٥٦/٧

نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَا نَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ . ))[٥٧]

تضمّن هذا الدعاء المبارك التوسّل إليه تعالى بأسمائه الحسنى كلّها، ما علم العبد منها، وما لم يعلم، والعلم بأسماء اللَّه وصفاته أصل لكل العلوم؛ لأنه كُلَّما كان عظيم العلم والمعرفة باللَّه تعالى وأسمائه وصفاته زادت خشية العبد لربه، وعظمت مراقبته وعبوديته له جلّ

(٥٧) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣ / ٢٥٣) برقم: (٩٧٢) ( كتاب الرقائق ، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا ) والحاكم في «مستدركه» (١ / ٥٠٩) برقم: (١٨٨٣) ( كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، دعاء يذهب الهم والحزن ) وأحمد في «مسنده» (٢ / ٨٦٤) برقم: (٣٧٨٨) ( مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ) وصححه في التلخيص الحبير (٤ / ٣١٨)

وعلا، وازداد بُعداً عن الوقوع في سخطه ومعصيته؛ ولهذا كان أعظم ما يطرد الهمّ والحزن والغمّ أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، وأن يعمر قلبه بذكرها، والثناء بها عليه، واستحضار معانيها، فبعد أن قدَّم جُملاً من الإقرار بالتذلل والخضوع له تعالى، والإيمان بكمال حكمه وقضائه وعدله، وهو توسل إليه بعمله الصالح، وتوسل إليه كذلك بأفعاله، ثم توسل إليه بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العُلا، فجمع ثلاثة أنواع من التوسّلات الجليلة مقدمة بين يدي دعائه دلالة على أهمية هذه الوسائل في إعطاء ما يسأله العبد ربه عز وجل فقال: ((أن تجعل القرآن ربيع قلبي)): أي: فرح قلبي، وسروره، وخُصَّ ((الربيع)) دون فصول السنة؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الزمان، ويميل إليه ويخرج من الهمّ والغمّ، ويحصل له النشاط والسرور والابتهاج فتضمّنت هذه الدعوة سؤال اللَّه تعالى أن يجعل قلبه مرتاحاً إلى القرآن، مائلاً إليه، راغباً في تدبره .

وهذا يدلّ على أن القرآن هو الشفاء الناجح لمن تأمله وتدبّره، وتمسّك به ،وقوله: ((ونور صدري)): أي تشرق في قلبي بأنوار المعرفة، فأميّز الحق والباطل.

قوله: ((وجلاء حزني، وذهاب همّي)): الجلاء هو: الانكشاف، أي انكشاف حزني وهمّي؛ لأن القرآن شفاء، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾؛ لأنه كلام اللَّه تعالى الذي ليس كمثله شيء، وأي شيءٍ يقف أمام هذا الكلام العظيم، فالقرآن الذي هو أفضل الذكر، كاشف للحزن، ومُذهب للهمّ لمن يتلوه بالليل والنهار بتدبّر وتفكّر، فليس شيء مثله مُذهب للأوهام والأحزان، والأمراض النفسية العصرية، وفيه من نعيم القلب، وأنسه، ولذّاته، وراحته ما لا يوصف، وعلى قدر تحصيل العبد لكتاب اللَّه تعالى: تلاوةً، وحفظاً، وفهماً، ومدارسةً، وعملاً ينال من السعادة والراحة والطمأنينة

والعافية في البدن والنفس ما لا يحصيه إلا اللَّه تعالى.[٥٨]

٣ / الحديث السادس والعشرون : عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنِي وَالِدِي مُحَمَّدٌ ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ بن أبي وقاص قَالَ : مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ : لَا ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا إِلَّا أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ آنِفًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، قَالَ : فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلَامَ؟ قَالَ عُثْمَانُ : مَا فَعَلْتُ؟ قَالَ سَعْدٌ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ ، فَقَالَ : بَلَى ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا ، وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ

(٥٨) https://kalemtayeb.com/safahat/item/3106

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا وَاللهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا تَغَشَّى بَصَرِي ، وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ ، قَالَ : قَالَ سَعْدٌ : فَأَنَا أُنَبِّئُكَ بِهَا (( إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَشَغَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ، أَبُو إِسْحَاقَ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَمَهْ قَالَ : قُلْتُ : لَا وَاللهِ ، إِلَّا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ ، فَشَغَلَكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، دَعْوَةُ ذِي النُّونِ ، إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ : { لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ)) .[٥٩]

(٥٩) رواه النسائي في «الكبرى» (٩ / ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٦) ( كتاب عمل اليوم والليلة ، ذكر دعوة ذي النون ) ، (٩ / ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٧) ( كتاب عمل اليوم والليلة ، ذكر دعوة ذي النون ) والترمذي في «جامعه» (٥ / ٤٨٤) برقم: (٣٥٠٥) ( أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ) وأحمد في

قال الشيخ السعدي (فنادى في تلك الظلمات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته.)

وقال ابن القيم (وَأمّا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: فَإنَّ فِيها مِن كَمالِ التَّوْحِيدِ والتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعالى، واعْتِرافِ العَبْدِ بِظُلْمِهِ وذَنْبِهِ، ما هو مِن أبْلَغِ أدْوِيَةِ الكَرْبِ، والهَمِّ، والغَمِّ، وأبْلَغِ الوَسائِلِ إلى اللَّهِ - سُبْحانَهُ - في قَضاءِ الحَوائِجِ، فَإنَّ التَّوْحِيدَ والتَّنْزِيهَ يَتَضَمَّنانِ إثْباتَ كُلِّ كَمالِ اللَّهِ، وسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وعَيْبٍ وتَمْثِيلٍ عَنْهُ ، والِاعْتِرافُ بِالظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ إيمانَ العَبْدِ بِالشَّرْعِ والثَّوابِ والعِقابِ، ويُوجِبُ انْكِسارَهُ ورُجُوعَهُ إلى اللَّهِ واسْتِقالَتَهُ عَثْرَتَهُ، والِاعْتِرافَ بِعُبُودِيَّتِهِ، وافْتِقارَهُ إلى رَبِّهِ، فَهاهُنا أرْبَعَةُ

«مسنده» (١ / ٣٦٦) برقم: (١٤٨٠) ( مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ) وحسنه ابن حجر في الفتوحات الربانية وصححه الألباني في صحيح الترغيب

أُمُورٍ قَدْ وقَعَ التَّوَسُّلُ بِها: التَّوْحِيدُ، والتَّنْزِيهُ، والعُبُودِيَّةُ، والاِعْتِرافُ.)[٦٠]

٤/ الحديث السابع والعشرون : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ((كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ .))[٦١]

كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بهذا الدعاء عند حصول الكرب ، وسبب ذلك لما يشتمل عليه هذان الاسمان الكريمان من المعاني العظيمة الجليلة ، ولذلك يرى بعض العلماء أنهما اسم الله الأعظم ، وقد بدأ الله بهما في أعظم آية في القرآن وهي سورة الكرسي، وهما يدلان على حياة الله الدائمة ، بل هو سبحانه الذي يحيي كل شيء ، فكل حياة في الكون فهي منه ،

(٦٠) زاد المعاد ٢٩٧/٤

(٦١) رواه النسائي في «الكبرى» (٧ / ١٣٣) برقم: (٧٦٣٥) ( كتاب النعوت ، الحي القيوم ) ، والترمذي في «جامعه» (٥ / ٤٩٧) برقم: (٣٥٢٤) ( أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي

وكذلك هو القائم بنفسه المقيم لغيره ، فكل أحد محتاج له ، وهو الغني عن كل أحد سبحانه

٥/ الحديث الثامن والعشرون : عن أبي بكرة قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ))[٦٢]

وهذا الدعاء يشتمل على التذلل لله ، وإظهار الفقر والضعف والحاجة والمسكنة لله ، ثم فيه اللجأ إليه سبحانه والخوف والوجل من أن يكل الله الإنسان لنفسه ولو طرفة عين لأن هذا هو الهلاك والزلل ، ثم يطلب المسلم أن يصلح الله له شأنه كله ويُختم هذا الدعاء العظيم بتوحيد الله وإجلاله

(٦٢) رواه أبو داود في «سننه» (٤ / ٤٨٤) برقم: (٥٠٩٠) ( كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ) وأحمد في «مسنده» (٩ / ٤٧٢٢) برقم: (٢٠٧٥٨) ( مسند البصريين رضي الله عنهم ، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه ) وصححه الألباني

٦/ الحديث التاسع والعشرون : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ : اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) (٦٣)

(في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إذا أصاب أحدَكم غَمٌّ أو كَرْبٌ»، أي: أصابَه الحُزْنُ وضِيقُ النَّفْسِ؛ لمُصِيبةٍ ألمَّت به، «فلْيَقُلْ: اللهُ، اللهُ» وكرَّر لَفظَ الجلالةِ؛ استِلذاذًا بذِكْرِه، واستحضارًا لِعَظَمتِه، وتأكيدًا للتَّوحيدِ؛ فإنَّه الاسمُ الجامعُ لجميعِ الصِّفاتِ الجَلاليَّةِ والجَماليَّةِ والكَماليَّةِ، «ربِّي»، أي: هو ربِّي المُحسِنُ إليَّ بإيجادِي مِن العدَمِ، وتَوفيقي لِتَوحيدِه وذِكْرِه، والمربِّي لي بجَلائلِ نِعَمِه، والمالِكُ الحقيقيُّ لِشأْني كلِّه، ثم أفصَحَ

(٦٣) رواه أبو داود في «سننه» (١ / ٥٦١) برقم: (١٥٢٥) ( كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ) وابن ماجه في «سننه» (٥ / ٤٦) برقم: (٣٨٨٢) ( أبواب الدعاء ، باب الدعاء عند الكرب ) وأحمد في «مسنده» (١٢ / ٦٥٥٥) برقم: (٢٧٧٢٤) ( مسند النساء رضي الله عنهن ، حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها ) وصححه الألباني في صحيح أبو داود

بالتَّوحيدِ فقال: «لا أُشرِكُ به شيئًا»، أي: ليس معه أحدٌ يُشارِكُه في كَمالِه وجَلالِه، وجَمالِه وعُبوديَّتِه، وما يجِبُ له وما يَستحيلُ عليه، والمرادُ أنَّ قولَ ذلك يُفرِّجُ الهمَّ والغَمَّ، والضَّنكَ والضِّيقَ إنْ صدَقَت النِّيَّةُ.)[٦٤]

الحديث الثلاثون : عن أنس بن مالك قال: قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأبي طَلْحَةَ(( التَمِسْ غُلَامًا مِن غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي فَخَرَجَ بي أبو طَلْحَةَ يُرْدِفُنِي ورَاءَهُ، فَكُنْتُ أخْدُمُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كُلَّما نَزَلَ، فَكُنْتُ أسْمَعُهُ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ ...))متفق عليه[٦٥]

(قَالَ الْكِرْمَانِيُّ : هَذَا الدُّعَاءُ مِنْ الجَوَامِعِ الْكَلِمِ ؛

(٦٤) https://dorar.net/hadith/sharh/111645

(٦٥))أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤ / ٢٣) برقم: (٢٨٢٣) ( كتاب الجهاد والسير ، باب ما يتعوذ من الجبن ) ومسلم في «صحيحه» (٤ / ١١٤) برقم: (١٣٦٥) ( كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة )

لِأَنَّ أَنْوَاعَ الرَّذَائِلِ ثَلَاثَةٌ : نَفْسَانِيَّةٌ وَبَدَنِيَّةٌ وَخَارِجِيَّةٌ ، فَالْأُولَى بِحَسَبِ الْقُوَى الَّتِي لِلْإِنْسَانِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : الْعَقْلِيَّةُ وَالْغَضَبِيَّةُ وَالشَّهْوَانِيَّةُ ، فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ يَتَعَلَّقُ بِالْعَقْلِيَّةِ وَالْجُبْنُ بِالْغَضَبِيَّةِ وَالْبُخْلُ بِالشَّهْوَانِيَّةِ وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ بِالْبَدَنِيَّةِ ، وَالثَّانِي يَكُونُ عِنْدَ سَلَامَةِ الْأَعْضَاءِ وَتَمَامِ الْآلَاتِ وَالْقُوَى وَالْأَوَّلُ عِنْدَ نُقْصَانِ عُضْوٍ وَنَحْوِهِ ، وَالضَّلَعُ وَالْغَلَبَةُ بِالْخَارِجِيَّةِ ... وَالدُّعَاءُ مُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ .)[٦٦]

فائدة ذكرها ابن القيم في الطب النبوي في ذكر أدوية الحزن فقال(...هذه الأدوية تتضمَّن خمسةَ عشرَ نوعا من الدواء ، فإن لم تقو على إذهاب داءِ الهَمِّ والغَمِّ والحزن ، فهو داءٌ قد استحكم ، وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغ كُلّي .

الأول : توحيد الرُّبوبية .

(٦٦) تحفة الأحوذي ٢٥٥/٤

الثاني : توحيد الإلهية .

الثالث : التوحيد العلمي الاعتقادي .

الرابع : تنزيه الرَّب تعالى عن أن يظلم عبده ، أو يأخذه بلا سبب من العبد يُوجب ذلك .

الخامس : اعتراف العبد بأنه هو الظالم .

السادس : التوسُّل إلى الرَّب تعالى بأحبِّ الأشياء، وهو أسماؤه وصفاته ، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات : الحي القَيُّوم .

السابع : الاستعانة به وحده .

الثامن : إقرار العبد له بالرجاء .

التاسع : تحقيقُ التوكلِ عليه ، والتفويضِ إليه ، والاعترافُ له بأنَّ ناصيتَه في يده ، يُصرِّفُه كيف يشاء ، وأنه ماضٍ فيه حُكمُه ، عدلٌ فيه قضاؤه .

العاشر : أن يَرتَعَ قلبُه في رياض القرآن ، ويجعلَه

لقلبه كالربيع للحيوان ، وأن يَسْتَضيءَ به في ظُلُماتِ الشُّبهات والشَّهوات ، وأن يَتسلَّى به عن كل فائت ، ويَتعزَّى به عن كل مصيبة ، ويَستشفي به من أدواء صدره ، فيكونُ جِلاءَ حُزْنِه ، وشفاءَ همِّه وغَمِّه .

الحادي عشر : الاستغفار .

الثاني عشر : التوبة .

الثالث عشر : الجهاد .

الرابع عشر : الصلاة .

الخامس عشر : البراءة من الحَوْل والقُوَّة وتفويضُهما إلى مَن هُما بيدِه .)[٦٧]

(٦٧) ١٤٦/١

## باب من ثمرات بعض أنواع البلاء

١ــ **الحمى** / الحديث الواحد والثلاثون :(( عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَرِيضَةٌ فَقَالَ : أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .))[٦٨]

(بشَّرها صلى الله عليه وسلم بالمرض! كما يبشَّر الإنسانُ بالخير يأتيه، ووصَف معدنَ المسلم بخير المعادن، وهو الذهب أو الفضَّة، ومع ذلك فإنَّ الذهب

(٦٨)) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣ / ١٥٠) برقم: (٣٠٩٢) ( كتاب الجنائز ، باب عيادة النساء ) وصححه الألباني في صحيح الترغيب

يحتاج للنار كي تُذهب خبثَه، وتُبقي جودة معدنه، وكذلك المؤمن يحتاج للمرض أو البلاء يصيبه، فيُذهب خطاياه، ويُبقي حاله الطيب مع الله عز وجلَّ.)[٦٩]

٢ــ **فقد الولد** / الحديث الثاني والثلاثون : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ. (( فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ . فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ.)) [٧٠]

وفي هذا الحديث بيان أن مصيبة فقد الولد والصبر عليها من أعظم أسباب دخول الجنة والوقاية من النار.

(٦٩) https://www.alukah.net/sharia/0/21749/#ixzz6xhMxILu0

(٧٠) خرجه البخاري في «صحيحه» (١ / ٣٢) برقم: (١٠١) ( كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ) و مسلم في «صحيحه» (٨ / ٣٩) برقم: (٢٦٣٤) ( كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه )

وانظر إلى تعبير النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ((تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً)) فجعل موت الولد ثم الصبر على ذلك من العمل الصالح الذي يتقرب به الإنسان لله

الحديث الثالث والثلاثون : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ)) (٧١)

قال في فتح الباري (قَوْلُهُ (إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ) ... وَهُوَ الْحَبِيبُ الْمُصَافِي كَالْوَلَدِ وَالْأَخِ وَكُلِّ مَنْ يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ ، وَالْمُرَادُ بِالْقَبْضِ قَبْضُ رُوحِهِ وَهُوَ الْمَوْتُ .

قَوْلُهُ ( ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ ) ... « احْتَسَبَهُ « صَبَرَ عَلَى فَقْدِهِ رَاجِيًا الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَأَصْلُ الْحِسْبَةِ بِالْكَسْرِ الْأُجْرَةُ وَالِاحْتِسَابُ طَلَبُ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى

(٧١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨ / ٩٠) برقم: (٦٤٢٤) ( كتاب الرقاق ، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله فيه سعد )

- خَالِصًا وَاسْتَدَلَّ بِهِ ابْنُ بَطَّالٍ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ وَاحِدٌ يَلْتَحِقُ بِمَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ وَكَذَا اثْنَانِ وَأَنَّ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ كَمَا مَضَى فِي « بَابِ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ « مِنْ كِتَابِ الْجَنَائِزِ « وَلَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ « لَا يَمْنَعُ مِنْ حُصُولِ الْفَضْلِ لِمَنْ مَاتَ لَهُ وَاحِدٌ ، فَلَعَلَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُئِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْوَاحِدِ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ ، أَوْ أَنَّهُ أَعْلَمَ بِأَنَّ حُكْمَ الْوَاحِدِ حُكْمُ مَا زَادَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَ بِهِ ...

وَيُدْخِلُ فِي هَذَا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ : أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ ، فَقَالَ : أَتُحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَقَدَهُ فَقَالَ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ ابْنُهُ ، فَقَالَ : أَلَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا ؟ قَالَ : بَلْ لِكُلِّكُمْ . وَسَنَدُهُ عَلَى شَرْطِ

الصَّحِيحِ وَقَدْ صَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ .)[٧٢]

وقال الشيخ ابن عثيمين (الصفي: مَن يَصطفيه الإنسان ويختاره، ويرى أنه ذو صلة منه قوية، من ولد، أو أخ، أو عم، أو أب، أو أم، أو صديق، إذا أخذه الله عز وجل ثم احتسبه الإنسان، فليس له جزاء إلا الجنة ، ففي هذا دليلٌ على فضيلة الصبر على قبض الصفي من الدنيا، وأن الله عز وجل يجازي الإنسان إذا احتسب، يُجازيه الجنة.)[٧٣]

**٣/ فقد العين**

الحديث الرابع والثلاثون: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ ))[٧٤]

(٧٢) ٢٤٦/١١

(٧٣) شرح رياض الصالحين ١/ ٣٧ بترقيم الموسوعة الشاملة

(٧٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧ / ١١٦) برقم: (٥٦٥٣) ( كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره )

قال في فتح الباري (قَوْلُهُ : ( إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ ) بِالتَّثْنِيَةِ ، وَقَدْ فَسَّرَهُمَا آخِرَ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ « يُرِيدُ عَيْنَيْهِ « وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالَّذِي فَسَّرَهُمَا ، وَالْمُرَادُ بِالْحَبِيبَتَيْنِ الْمَحْبُوبَتَانِ لِأَنَّهُمَا أَحَبُّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ ، لِمَا يَحْصُلُ لَهُ بِفَقْدِهِمَا مِنَ الْأَسَفِ عَلَى فَوَاتِ رُؤْيَةِ مَا يُرِيدُ رُؤْيَتَهُ مِنْ خَيْرٍ فَيُسَرُّ بِهِ ، أَوْ شَرٍّ فَيَجْتَنِبُهُ .

قَوْلُهُ : ( فَصَبَرَ ) زَادَ التِّرْمِذِيُّ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ أَنَسٍ وَاحْتَسَبَ ، وَكَذَا لِابْنِ حِبَّانَ ، وَالتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَلِابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَصْبِرُ مُسْتَحْضِرًا مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الصَّابِرَ مِنَ الثَّوَابِ ، لَا أَنْ يَصْبِرَ مُجَرَّدًا عَنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ ، وَابْتِلَاءُ اللَّهِ عَبْدَهُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ مِنْ سُخْطِهِ عَلَيْهِ ، بَلْ إِمَّا لِدَفْعِ مَكْرُوهٍ أَوْ لِكَفَّارَةِ ذُنُوبٍ أَوْ لِرَفْعِ مَنْزِلَةٍ ، فَإِذَا تَلَقَّى ذَلِكَ بِالرِّضَا تَمَّ لَهُ الْمُرَادُ وَإِلَّا يَصِيرُ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ سَلْمَانَ (أَنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ

اللَّهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا ، وَأَنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ )أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي « الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ « مَوْقُوفًا .

قَوْلُهُ : ( عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ ) وَهَذَا أَعْظَمُ الْعِوَضِ، لِأَنَّ الِالْتِذَاذَ بِالْبَصَرِ يَفْنَى بِفِنَاءِ الدُّنْيَا ، وَالِالْتِذَاذَ بِالْجَنَّةِ بَاقٍ بِبَقَائِهَا ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ . وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ فِيهِ قَيْدٌ آخَرُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي « الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ « بِلَفْظِ( إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْكَ فَصَبَرْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ وَاحْتَسَبْتَ ) فَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الصَّبْرَ النَّافِعَ هُوَ مَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ وُقُوعِ الْبَلَاءِ فَيُفَوِّضُ وَيُسَلِّمُ ، وَإِلَّا فَمَتَى تَضَجَّرَ وَتَقَلَّقَ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ ثُمَّ يَئِسَ فَيَصْبِرُ لَا يَكُونُ حَصَلَ الْمَقْصُودُ ، وَقَدْ مَضَى حَدِيثُ أَنَسٍ فِي الْجَنَائِزِ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ فِيمَا صَحَّحْهُ ابْنُ حِبَّانَ فِيهِ بِشَرْطٍ آخَرَ وَلَفْظُهُ : (إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَيْهِ وَهُوَ

بِهِمَا ضَنِينٌ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ إِذَا هُوَ حَمِدَنِي عَلَيْهِمَا) ، وَلَمْ أَرَ هَذِهِ الزِّيَادَةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَإِذَا كَانَ ثَوَابُ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ الْجَنَّةَ فَالَّذِي لَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ أُخْرَى يُزَادُ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ)[٧٥]

(٧٥) ١٢٠/١٠

## باب فى أن أعظم شفاء هو القرآن

والقرآن كله شفاء وبركة كما قال تعالى﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحمَة لِّلْمُؤمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارا﴾

قال ابن كثير في تفسيره (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ -وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ -إِنَّهُ: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: يُذْهِبُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضٍ، مِنْ شَكٍّ وَنِفَاقٍ، وَشِرْكٍ وَزَيْغٍ وَمَيْلٍ، فَالْقُرْآنُ يَشْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَهُوَ أَيْضًا رَحْمَةٌ يَحْصُلُ فِيهَا الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ وَطَلَبُ الْخَيْرِ

وَالرَّغْبَةُ فِيهِ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ شِفَاءً فِي حَقِّهِ وَرَحْمَةً. وَأَمَّا الْكَافِرُ الظَّالِمُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، فَلَا يَزِيدُهُ سَمَاعُهُ الْقُرْآنَ إِلَّا بُعْدًا وَتَكْذِيبًا وَكُفْرًا. وَالْآفَةُ مِنَ الْكَافِرِ لَا مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾) وقال ابن القيم (و»مِن» هُنا لِبَيَانِ الجِنْسِ لا لِلتَّبْعِيضِ، فَإِنَّ القُرْآنَ كُلَّهُ شِفاءٌ، كَما قالَ في الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ، فَهو شِفاءٌ لِلْقُلُوبِ مِن داءِ الجَهْلِ والشَّكِّ والرَّيْبِ، فَلَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ سُبْحانَهُ مِنَ السَّماءِ شِفاءً قَطُّ أعَمَّ ولا أنْفَعَ ولا أعْظَمَ ولا أشْجَعَ في إزالَةِ الدّاءِ مِنَ القُرْآنِ.)

وسأذكر فقط ثلاث سور من القرآن هي أعظم ما يرقي ويستشفي بها الإنسان وذلك لمن أحسن الاستشفاء بها ، وسيأتي كلام ابن القيم الموضح لهذا الأمر.

**١ - قراءة الفاتحة**

الحديث الخامس والثلاثون : عَنْ أَبي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْقِي ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا ، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ : { الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ . قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ

جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمُ : اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى : لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ . ثُمَّ قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ ، اقْسِمُوا ، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا . فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٧٦]

قال ابن القيم (فَقَدْ أَثَّرَ هَذا الدَّواءُ في هَذا الدّاءِ، وأزالَهُ حَتّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وهو أَسْهَلُ دَواءٍ وأيْسَرُهُ، ولَوْ أَحْسَنَ العَبْدُ التَّداوِيَ بِالفاتِحَةِ، لَرَأى لَها تَأْثِيرًا عَجِيبًا في الشِّفاءِ.

وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً يَعْتَرِينِي أَدْواءٌ ولا أَجِدُ طَبِيبًا ولا

(٧٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣ / ٩٢) برقم: (٢٢٧٦) ( كتاب الإجارة ، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ) ومسلم في «صحيحه» (٧ / ١٩) برقم: (٢٢٠١) ( كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار )

دَواءً، فَكُنْتُ أُعالِجُ نَفْسِي بِالفاتِحَةِ، فَأرى لَها تَأْثِيرًا عَجِيبًا، فَكُنْتُ أصِفُ ذَلِكَ لِمَن يَشْتَكِي ألَمًا، وكانَ كَثِيرٌ مِنهم يَبْرَأُ سَرِيعًا.

وَلَكِنْ هاهُنا أمْرٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، وهو أنَّ الأذْكارَ والآياتِ والأدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفى بِها ويُرْقى بِها، هي في نَفْسِها نافِعَةٌ شافِيَةٌ، ولَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ المَحِلِّ، وقُوَّةَ هِمَّةِ الفاعِلِ وتَأْثِيرَهُ، فَمَتى تَخَلَّفَ الشِّفاءُ كانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الفاعِلِ، أوْ لِعَدَمِ قَبُولِ المُنْفَعِلِ، أوْ لِمانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّواءُ، كَما يَكُونُ ذَلِكَ في الأدْوِيَةِ والأدْواءِ الحِسِّيَّةِ، فَإنَّ عَدَمَ تَأْثِيرِها قَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلِكَ الدَّواءِ، وقَدْ يَكُونُ لِمانِعٍ قَوِيٍّ يَمْنَعُ مِنَ اقْتِضائِهِ أثَرَهُ، فَإنَّ الطَّبِيعَةَ إذا أخَذَتِ الدَّواءَ بِقَبُولٍ تامٍّ كانَ انْتِفاعُ البَدَنِ بِهِ بِحَسْبِ ذَلِكَ القَبُولِ، فَكَذَلِكَ القَلْبُ إذا أخَذَ الرُّقى والتَّعاوِيذَ بِقَبُولٍ تامٍّ، وكانَ لِلرّاقِي نَفْسٌ فَعّالَةٌ وهِمَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ في إزالَةِ الدّاءِ.)[٧٧]

(٧٧) الجواب الكافي ٨/١

وقال في الطب النبوي (ومن المعلوم أنَّ بعض الكلام له خواصُّ ومنافعُ مُجرَّبة، فما الظنُّ بكلام ربّ العالمين، الذي فَضْلُهُ على كل كلامٍ كفضلِ اللهِ على خلقه الذي هو الشفاءُ التام، والعِصْمةُ النافعة، والنورُ الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أُنزِلَ على جبل لتَصَدَّعَ من عظمته وجلالته. قال تعالى : ((وَنُنَـزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)). و( مِن ) ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض ، هذا أصَحُّ القولين ، كقوله تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)) وكُلُّهُمْ مِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فما الظنُّ بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن ، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل ، ولا في الزَّبور مِثلها ، المتضمنة لجميع معاني كتب الله ، المشتملة على ذكر أُصول أسماء الرب تعالى ومجامعها ، وهي : الله، والرَّب ، والرحمن، وإثبات المعاد، وذكرِ التوحيدين : توحيدِ الربوبية، وتوحيدِ الإلهية، وذكر الافتقار إلى الربِّ سُبحانه في

طلبِ الإعانة وطلب الهداية ، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعِهِ وأفرَضِه، وما العبادُ أحوج شيء إليه ، وهو الهدايةُ إلى صِراطه المستقيم ، المتضمن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمرَ به، واجتنابِ ما نَهَى عنه ، والاستقامة عليه إلى الممات ، ويتضمن ذِكْر أصنافِ الخلائق وانقسامهم إلى مُنْعمٍ عليه بمعرفة الحق ، والعمل به ، ومحبته ، وإيثاره ، ومغضوب عليه بعدُوله عن الحق بعد معرفته له ، وضال بعدم معرفته له . وهؤلاء أقسامُ الخليقة مع تضمنها لإثبات القَدَر، والشرع، والأسماء ، والصفات، والمعاد ، والنبوات، وتزكيةِ النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه ، والرَّدِّ على جميع أهل البدع والباطل، كما ذكرنا ذلك في كتابنا الكبير ( مدارج السالكين ) في شرحها. وحقيقٌ بسورةٍ هذا بعضُ شأنها، أن يُستشفى بها من الأدواء، ويُرقَى بها اللَّديغُ .

وبالجملة ، فما تضمنته الفاتحةُ مِن إخلاص العبودية والثناء على اللهِ ، وتفويضِ الأمر كُلِّه إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وسؤاله مجامع النِّعَم كُلِّها ، وهي الهداية التي تجلبُ النِّعَم ، وتدفَعُ النِّقَم ، من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

وقد قيل : إنَّ موضع الرُّقْيَة منها : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، ولا ريبَ أنَّ هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإنَّ فيهما من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة ، والافتقارِ والطلبِ، والجمع بين أعلى الغايات ، وهي عبادةُ الربِّ وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانةُ به على عبادته، ما ليس في غيرها)[٧٨]

**٢ - المعوذتين**

الحديث السادس والثلاثون : عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (( أَلَمْ تَرَ

(٧٨) ١٣١/١

آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }، وَ { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } .)) (٧٩)

قال في عون المعبود في كلامه عن المعوذتين (... هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ الْمُشْتَمِلَتَيْنِ عَلَى التَّعَوُّذِ مِنَ الشُّرُورِ كُلِّهَا ، فَمَنْ حَفِظَهُمَا فَقَدْ وُقِيَ مِنَ الْآفَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ .)(٨٠)

وقال ابن باز (سورتي قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ما تعوذ متعوذ بمثلهما، كان النبي ﷺ يتعوذ بهما ويقول: ما أنزل مثلهن من جهة التعوذ كان النبي ﷺ يتعوذ من الجن وعين الإنسان حتى نزلت هاتان السورتان فاكتفى بهما، وكان ﷺ يعتني بهما مع قُلْ هُوَ اللَّه أَحدٌ يكررها ثلاثا صباحا ومساء وعند النوم، فينبغي التأسي به عليه الصلاة والسلام في ذلك للإكثار من قراءة قُلْ هُوَ اللَّه أَحدٌ والمعوذتين، وأن يختم بهما

(٧٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢ / ٢٠٠) برقم: (٨١٤) ( كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة المعوذتين )

(٨٠) ٥٤٦/١

## باب فى (ما يقول من أصيب بمصيبة )

نهاره عند النوم ثلاث مرات يتلوها بعد الصبح وبعد المغرب ثلاث مرات، بعد العشاء والعصر والظهر مرة واحدة، لما فيهما من التعوذ بالله من شر الشرور كلها ومن شر الشيطان، نسأل الله للجميع التوفيق.)[٨١]

الحديث السابع والثلاثون: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ

(٨١) انظر شرح الشيخ لرياض الصالحين على موقعه الرسمي

بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ ، فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا ، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُذْهِبَ بِالْغَيْرَةِ .[٨٢]

هذي الصحابية الجليلة عندما توفي زوجها وهو من خيار الناس ومن المهاجرين الأوائل للحبشة ، وكانت سمعت بهذا الحديث قبل وفاة زوجها ، فجال في خاطرها بعد وفاة زوجها من هذا الذي مثل أبي سلمة (تَقولُ أمُّ سَلمةَ: «فلمَّا ماتَ أَبو سلمَةَ»، تَعني زَوجَها عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الأَسدِ المَخزوميَّ «قُلتُ»، أي: قُلتُ في نَفسي أو باللِّسانِ تَعجُّبًا:»أيُّ المسلمينَ خيرٌ مِن أَبي سلمَةَ؟!»، تَعجَبُ مِن تَنزيلِ قَولِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «إلَّا أَخلفَ

(٨٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣ / ٣٧) برقم: (٩١٨) ( كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة )

اللهُ خيرًا» مِنها عَلى مُصيبَتِها استِعظامًا لأبي سَلمَةَ عَلى زَعمِها وفي ظَنِّها، ثُمَّ بَيَّنت خَيريَّةَ أَبي سَلمةَ في أنَّ بيتَه «أَوَّلُ بيتٍ هاجرَ»، أي: هوَ أَوَّل مَن هاجرَ مَع عِيالِه، وتَكونُ بذلكَ قد تَعجَّبت لاعتقادِها أنَّه لا أَفضلَ مِن أَبي سلمَةَ، ولَم تَطمعْ أن يَتزوَّجَها رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، فهوَ خارجٌ مِن هذا العُمومِ، والظَّاهرُ أنَّ الخيريَّةَ بالنِّسبةِ إليها وَباعتِبارِ نَفسِها.

وبَعدَ تَعجُّبِها استَجابت لأَمرِ رَسولِ اللهِ، «ثُمَّ إنِّي قُلتُها»، أي: كَلمةُ الاِسترجاعِ والدُّعاءُ المَذكورُ بَعدها، «فأَخلَف اللهُ لي رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم»، أي: بأنْ جَعلَني زَوجتَه، وَكان عِوضًا خيرًا لي مِن زَوجي أَبي سلمَةَ.

ثُمَّ ذَكرتْ أُمُّ سلمةَ كيفَ كانت خِطبتُها مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، وَماذا طَلبتْ فَقالت: أَرسلَ إِليَّ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم حاطبَ بنَ أَبي بَلتعةَ يَخطِبُني لَه، فقُلتُ: إنَّ لي بنتًا وأنا غيورٌ، فَقال: أمَّا

ابنتُها فنَدعو اللهَ أن يُغنِيَها عنها، وأدْعو اللهَ أنْ يُذهِبَ بالغَيرةِ»، وقَولُها: « وأَنا غَيورٌ» ؛ أي: كَثيرةُ الغَيْرةِ، والمُرادُ بالغَيرةِ الَّتي وَصفَت بِها نَفسَها أنَّها تَغارُ إذا تَزوَّجَ زَوجُها امرأةً أُخرى، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قد كان لَه زَوجاتٌ قَبلَها، وقدْ كانَ لَها ما طَلبتْ، وَكان مِن بَركةِ دُعاءِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَها أنْ أغْنَى اللهُ ابنَتَها عَنْها، وذَهبتِ الغَيرةُ مِن صَدرِها.

وفي الحَديثِ: الأَمرُ بالصَّبرِ عَلى المَصائبِ وعَدمِ الجَزعِ.

وَفيهِ: التَّوجُّهُ بالدُّعاءِ إلى اللهِ في المُلمَّاتِ لأنَّ عندَه العِوضَ.

وَفيه: ضَرورةُ امتِثالِ المُؤمنِ لأمرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وإنْ لم تَظهرْ لَه الحِكمةُ مِن أَمرِه.

وفيه : فضل قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) وهي غاية التسليم لله والاعتراف بأننا عبيد لله لا حول لنا

## باب فى ذكر بعض قصص أهل البلاء ثم العاقبة الحسنة لهم بصبرهم واحتسابهم

ولا قوة إلا بالله ، ثم فيها اعتراف بالرجوع لله سبحانه وتعالى)[٨٣]

**١/ قصة أيوب**

﴿وَٱذكُر عَبدَنَا أَيُّوبَ إِذ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيطَـٰنُ بِنُصب وَعَذَابٍ ٱركُض بِرِجلِكَ هَـٰذَا مُغتَسَلُۢ بَارِد وَشَرَاب وَوَهَبنَا لَهُۥٓ أَهلَهُۥ وَمِثلَهُم مَّعَهُم رَحمَة مِّنَّا وَذِكرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلأَلبَـٰبِ وَخُذ بِيَدِكَ ضِغثا فَٱضرِب بِّهِۦ وَلَا تَحنَث إِنَّا وَجَدنَـٰهُ صَابِرا نِّعمَ ٱلعَبدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّاب﴾

(٨٣) انظر https://dorar.net/hadith/sharh/20590

قال ابن كثير في تفسيره (يَذْكُرُ تَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا كَانَ ابْتَلَاهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضُّرِّ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ جَسَدِهِ مَغْرز إِبْرَةٍ سَلِيمًا سِوَى قَلْبِهِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ حَالِ الدُّنْيَا شَيْءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَرَضِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ زَوْجَتَهُ حَفِظَتْ وِدَّهُ لِإِيمَانِهَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأُجْرَةِ وَتُطْعِمُهُ وَتَخْدُمُهُ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةٍ. وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَالٍ جَزِيلٍ وَأَوْلَادٍ وَسَعَةٍ طَائِلَةٍ مِنَ الدُّنْيَا فَسُلِبَ جَمِيعَ ذَلِكَ حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ مِنْ مَزَابِلِ الْبَلْدَةِ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِكَمَالِهَا وَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ سِوَى زَوْجَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تُفَارِقُهُ صَبَاحًا وَ لا مَسَاءً إِلَّا بِسَبَبِ خِدْمَةِ النَّاسِ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ قَرِيبًا. فَلَمَّا طَالَ الْمَطَالُ وَاشْتَدَّ الْحَالُ وَانْتَهَى الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ وَتَمَّ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِلَهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ

الْكَرِيمَةِ قَالَ: رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، قِيلَ: بِنُصْبٍ فِي بَدَنِي وَعَذَابٍ فِي مَالِي وَوَلَدِي. فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَجَابَ لَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ وَأَنْ يَرْكُضَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ. فَفَعَلَ فَأَنْبَعَ اللَّهُ عَيْنًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا فَأَذْهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْأَذَى ثُمَّ أَمَرَهُ فَضَرَبَ الْأَرْضَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فَأَنْبَعَ لَهُ عَيْنًا أُخْرَى وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِ مِنَ السُّوءِ وَتَكَامَلَتِ الْعَافِيَةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ... قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِأَنَّهُ ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أَيْ: رَجَّاع مُنِيبٌ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

الحديث الثامن والثلاثون: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (( إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَنَةً أَوْ شَهْرًا - فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ بِهِ ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ : تَعْلَمُ وَاللهِ إِنَّ أَيُّوبَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَرَاغَمَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ ، وَكَانَ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا ، فَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَانِهِ { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } فَاسْتَبْطَأَتْهُ ، فَتَلَقَّتْهُ يَنْظُرُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ تَعَالَى مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ : أَيْ بَارَكَ اللهُ

فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمُبْتَلَى ؟ وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا ، قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ ،وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ ، أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ ، فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى سَحَابَتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ .))[٨٤]

فانظر إلى هذا الصبر العظيم مع طول المدة وعدم الشكوى ، بل إنه عليه الصلاة عندما دعا لم يدع صراحة ــ مع جواز ذلك ــ ولكنه من كمال تعظيمه لله وحسن أدبه مع ربه عرَّض بذلك فقال ((أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) ، فكانت العاقبة الحسنى له في الدنيا

(٨٤)أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧ / ١٥٧) برقم: (٢٨٩٨) ( كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا ، ذكر الخبر الدال على من امتحن بمحنة في الدنيا فيلقاها بالصبر والشكر يرجى له زوالها عنه في الدنيا مع ما يدخر له من الثواب في العقبى ) والحاكم في «مستدركه» (٢ / ٥٨١) برقم: (٤١٣٧) ( كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر بلاء أيوب عليه السلام ) وأبو يعلى في «مسنده» (٦ / ٢٩٩) برقم: (٣٦١٧) ( مسند أنس بن مالك ، الزهري عن أنس ) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٧

مع بقاء الذكر الحسن له إلى قيام الساعة ، وما عند الله خير وأبقى.

**٢/ قصة أم سليم مع زوجها**

الحديث التاسع والثلاثون: عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ . قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ: لَا . قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ . قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي ! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا . قَالَ: فَحَمَلَتْ

. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ [١٤٦/٧] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا ، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى ! قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ ، انْطَلِقْ . فَانْطَلَقْنَا ، قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ ! قُلْتُ: نَعَمْ. فَوَضَعَ الْمِيسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ

الْمَدِينَةِ فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا . قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ ! قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ .))[٨٥]( وفي رواية : فَسُمِّيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ . قَالَ : فَخَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ كَثِيرٌ . قَالَ: وَاسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بِفَارِسَ وفي رواية : فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ شَابٌّ أَفْضَلَ مِنْهُ وفي رواية : فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ زَمَانِهِ )[٨٦]

ففي هذا الحديث بيان لعاقبة الصبر الحميدة ، فأم سليم حازت الثناء والذكر الحسن من عهد النبي عليه الصلاة والسلام وحتى قيام الساعة ، وأصبحت مثال للقدوة الحسنة للنساء لأفعالها الحسنة الجميلة ،

(٨٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢ / ٨٢) برقم: (١٣٠١) ( كتاب الجنائز ، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ) ومسلم في «صحيحه» (٦ / ١٦٤) برقم: (٢١١٩) ( كتاب اللباس والزينة ، باب جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه )
(٨٦) انظر مسند أحمد: (٥ / ٢٧١٩) برقم: (١٣٠٦٣ ) و (٦ / ٢٩٧٩) برقم: (١٤٢٨١) ومسند عبد بن حميد: (١ / ٣٧٢) برقم: (١٢٤٠ )

بل هي قدوة لكل من ابتلي بمصيبة ، وكان من ثمرة الصبر الجميل أن عوضها الله بولد صالح مصلح ، بل امتد صلاحه لأبنائه فكانوا حفظة للقرآن نَقَلة للحديث، فهنيئاً للصابرين المحتسبين.

## باب فى انتصار الإسلام وأهله والتفاؤل بذلك وانخذال الكفر وأهله

قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾.

قال ابن عطية في تفسيره (وقَوْلُهُ: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ عِبارَةٌ عن قِلَّةِ حِيلَتِهِمْ وضَعْفِها، أخْبَرَ عنهم أنَّهم يُحاوِلُونَ مُقاوَمَةَ أمْرٍ جَسِيمٍ بِسَعْيٍ ضَعِيفٍ، فَكانَ الإطْفاءَ بِنَفْخِ الأفْواهِ، ويُحْتَمَلُ أنْ يُرادَ: بِأقْوالٍ لا بُرْهانَ عَلَيْها، فَهي لا تُجاوِزُ الأفْواهَ إلى فَهْمِ سامِعٍ).

وقال السعدي (ونور اللّه: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه اللّه نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور اللّه بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا.

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئًا.

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ الذي

هو العلم النافع ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث اللّه به محمدا ﷺ مشتملاً على بيان الحق من الباطل في أسماء اللّه وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين للّه وحده، ومحبة اللّه وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

فأرسله اللّه بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد اللّه لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لابد أن يقوم به.)

الحديث الأربعون: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ )) رواه مسلم(٨٧)

قال النووي (الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ) مِنَ الرِّيحِ الَّتِي تَأْتِي فَتَأْخُذُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . وَأَنَّ الْمُرَادَ بِرِوَايَةِ مَنْ رَوَى ( حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ) أَيْ : تَقْرُبَ السَّاعَةُ ، وَهُوَ خُرُوجُ الرِّيحِ . وَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ فَقَالَ الْبُخَارِيُّ : هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ ؟ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ

(٨٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٦ / ٥٢) برقم: (١٩٢٠) ( كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ) وقد أخرجه البخاري بلفظ قريب منه (٩ / ١٠١) برقم: (٧٣١١) ( كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق )

أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ ، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ ، وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفَ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ ، بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ مَا زَالَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآنَ ، وَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ ) [٨٨]

وسئل الشيخ ابن باز: ما الجمع بين حديث بدأ الإسلام غريبًا وحديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق؟

فأجاب :لا منافاة بينهما: فالأول ظاهر من الواقع. وتمامه: فسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء، وفي رواية لغير مسلم: يحيون ما أمات الناس من سنتي

(٨٨) ٥٧/١٣

وفي رواية أخرى: الذين يصلحون ما أفسد الناس.

والحديث الثاني يدل على بقاء الإصلاح والدعوة والعلم والتعليم، وفيه بشارة أن هنالك طائفة لا تزال ظاهرة على الحق، فالغربة لا تنافي الطائفة، ولا يلزم أن تكون بمكان واحد، والحق لا بد من بقائه حتى يخرج الدجال، وحتى تأتي الريح.

ثم إن هذه الغربة قد تزداد في مصر من الأمصار وتقل في مصر آخر، وقد تكون الغربة ذات معان متعددة: في كثرة البدع، أو إنكار صلاة الجماعة، أو عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظمها، غربة أهل التوحيد وظهور الشرك. نسأل الله العافية.

وقد يظهر الإسلام في ناحية ويكون فيها أحسن مما قبل كما هو الواقع، وقد يكون في زمان أفضل من زمان آخر.

أما حديث: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه فهو

محمول على الأغلب فلا يمنع أن يكون في بعض الزمان أحسن مما قبله، كما جرى في زمان عمر بن عبدالعزيز، فإن زمانه أحسن من زمان سليمان والوليد، وكما حصل في زمان شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من ظهور السنة والرد على المبتدعة، وكما جرى في الجزيرة بعد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله)[٨٩]

الحديث الواحد والأربعون : عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ . وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ

(٨٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢٥/ ١٠٣

وَالْجِزْيَةَ))[٩٠]

(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار كيف يعني الليل والنهار؟ يعني كل الأرض، ليبلغن هذا الأمر الإسلام، ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر يعني (لا بيت حجر وعمارات شاهقة ولا بيت وبر للبدو في الصحراء،) لا يترك أي بيت من أي نوع كان إلا أدخله الله هذا الدين سيدخل الدين في تلك البيوت كلها بعز عزيز أو ذل ذليل عز يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر، إذن سيأتي اليوم الذي يدخل الإسلام فيه كل البيوت على وجه الأرض، كل البيوت ولا يبقى

(٩٠) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤ / ٤٣٠) برقم: (٨٤٢٠) ( كتاب الفتن والملاحم ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة) والبيهقي في «سننه الكبير» (٩ / ١٨١) برقم: (١٨٦٩١) ( كتاب السير ، باب إظهار دين النبي صلى الله عليه وسلم على الأديان ) وأحمد في «مسنده» (٧ / ٣٧٤٥) برقم: (١٧٢٣١) ( مسند الشاميين رضي الله عنهم ، حديث تميم الداري رضي الله عنه ) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٧/٦): رجاله رجال الصَّحيح. وقال الألباني في ((تحذير الساجد)) (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

بيت واحد إلا ودخله الإسلام، ففي هذا الحديث يُـبَشِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِعِزِّ هذا الدِّين وتمكينه في الأرض، وأنَّ هذا العِزَّ والتَّمكين سيكون سواءً بِعِزٍّ عَزِيزٍ، أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، أي: (أدخل الله تعالى كلمة الإسلام في البيت مُلْتَبسة بِعِزِّ شخص عزيز، أي يُعِزُّه الله بها، حيث قَبِلها من غير سَبْيٍ وقتال، ((وذُلِّ ذَلِيلٍ)) أي: أو يُذِلُّه الله بها حيث أباها، والمعنى: يُذِلُّه الله -بسبب إبائها- بِذُلِّ سَبْيٍ أو قتال، حتى ينقاد إليها كَرْهًا أو طَوْعًا، أو يُذْعِن لها ببذل الجِزْية. والحديث مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى(( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ )) )[٩١]

وهذه البشارة لم تأت بعد ، وهي ولا شك قادمة ، بل إن من الواجب على كل مسلم الإيمان بها والتصديق بذلك حيث صح الحديث به من الصادق المصدوق ،

(٩١) انظر https://almunajjid.com/speeches/lessons/382 وكذلك https://dorar.net/akhlaq/943

ونحن نرى الآن في زماننا سرعة انتشار الإسلام وقبول الناس له بل هو الآن أسرع الأديان انتشاراً في العالم بحسب الإحصاءات الغربية ، وذلك بالرغم من العداوة والصد عنه ، ولكن الأمر كما قال تعالى : (( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ )).

الحديث الثاني والأربعون : عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : ((بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالنَّصْرِ وَالسَّنَاءِ وَالتَّمْكِينِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ))[٩٢]

قال الصنعاني ((بشر هذه الأمة بالسناء) بفتح السين المهملة بعدها نون مهموز ممدود ارتفاع المنزلة ويحتمل

(٩٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢ / ١٣٢) برقم: (٤٠٥) ( كتاب البر والإحسان ، ذكر وصف إشراك المرء بالله جل وعلا في عمله ) وأحمد في «مسنده» (٩ / ٤٩٣٩) برقم: (٢١٦١١) ( مسند الأنصار رضي الله عنهم ، حديث أبي المنذر أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ) وغيرهم ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم ١٣٣٢

أنه مقصود وهو الضوء. (والدين) هو الإسلام، والمراد بشرهم بأنهم يثبتون عليه وأنه لا يزيده الله إلا قوة وأنه يظهره على الدين كله كما وقع ذلك. (والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض) العلو والظهور على أهل الأديان في الدنيا والآخرة والظفر وقوله: (فمن عَمِل عَمَل الآخرة للدنيا فما له في الآخرة من نصيب) كالاحتراز عما يفيده عموم البشرى وإبانة أنهما لمن عَمِل عَمَل الآخرة للآخرة)[٩٣]

وقال في فيض القدير ((بشر هذه الأمة) أمة الإجابة (بالسناء) بالمد ارتفاع المنزلة والقدر (والدين) أي التمكن فيه (والرفعة) أي العلو في الدنيا والآخرة (والنصر) على الأعداء (والتمكين في الأرض) ((ونمكن لهم في الأرض ونجعلهم أئمة)) (فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا) أي قصد بعمله الأخروي استجلاب الدنيا وجعله وسيلة إلى تحصيلها (لم يكن له في الآخرة من

(٩٣) التنوير شرح الجامع الصغير ٥٤٧/٤

نصيب) لأنه لم يعمل لها)[٩٤]

وهذه البشارة النبوية تدل على البقاء والاستمرار ، فاللهم لك الحمد على فضلك وإحسانك [٩٥]

**وهذه فائدة أختم بها البحث ـ وهي كالملخص له ـ من كلام العلامة ابن القيم فيمن يبحث عن علاج عندما تنزل عليه المصيبة فقال ـ رحمه الله ـ**

١- « أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه ، وادَّخر له إن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

٢- أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتَّش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى ، إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه،

(٩٤) ٢٠١/٣

(٩٥) جمع بعض الباحثين أربعون حديثاً في البشارة بانتصار الإسلام والتمكين له، وهي مفيدة في بابها

وأن شرور الدنيا أحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرَّت يوماً ساءت دهراً ، وإن متَّعت قليلاً منعت طويلاً ، ولا سرته بيوم سروره إلا خبأت له يوم شرور ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : لكل فرحة ترحة ، وما مليء بيت فرحاً إلا مليء ترحاً . وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء .

٣- أن يعلم أن الجزع لا يردها - أي : المصيبة - بل يضاعفها ، وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

٤- أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

٥- أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويحبط أجره ، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب وأرضى ربه ، وسر صديقه،

وساء عدوه ، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم ، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور .

٦- أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك « بيت الحمد « الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر أي المصيبتين أعظم : مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد ، وفي الترمذي مرفوعاً : ( يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء)، وقال بعض السلف : لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس .

٧- أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين ، وأرحم

الراحمين ، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله ، وليراه طريحا ببابه ، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعا قصص الشكوى إليه.

٨- أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يفتقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظا لصحة عبوديته ، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه ، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه ، كما قيل :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم.

٩- أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقلبها الله سبحانه ، كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك ، فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ( حُفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ) « انتهى باختصار [٩٦].

**وفي الختام أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يغفر لنا ولوالدينا وأحبابنا وأزواجنا وذرياتنا ومشايخنا والمسلمين ، وأن ينفع به جامعه وقارئه والمنتفع به ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا ، وأن يرحم ويغفر لكل من أفادني في هذا الجمع أو استفدت منه من الأموات والأحياء وأن يجزيهم خير الجزاء ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

(٩٦) انظر زاد المعاد ١٧٣/٤

## فهرس الموضوعات:


| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ٣ |
| باب<br>( كل شيء بقضاء وقدر ) | ٦ |
| باب في أن<br>( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ) | ٨ |
| باب<br>(في أن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية ) | ١١ |
| باب<br>(في أن الجزع والهلع مصيبة أخرى ) | ١٥ |
| باب في<br>(إعانة الله للصابرين ) | ١٧ |
| باب في أن<br>( كل قضاء فهو خير للمؤمن ) | ١٩ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| باب<br>(في حال المسلم مع الدعاء ) | ٢١ |
| باب من<br>(ثمرات البلاء )<br>الثمرة الأولى : تكفير الذنوب ورفع الدرجات | ٢٤ |
| الثمرة الثانية: أن من علامات الإيمان الصبر عند البلاء | ٢٦ |
| الثمرة الثالثة : قوة البلاء وكثرته من علامات الإيمان | ٢٧ |
| الثمرة الرابعة : يكتب له ما كان يعمله في صحته | ٣١ |
| الثمرة الخامسة : من علامة محبة الله للعبد وإرادته الخير له | ٣٤ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| الثمرة السادسة : البلاء من أعظم أسباب دخول الجنة | ٣٥ |
| الثمرة السابعة : بلوغ المنازل العالية | ٤٣ |
| الثمرة الثامنة : إظلالهم يوم القيامة | ٤٤ |
| باب ذكر بعض مذهبات الحزن<br>الأمر الأول / التعزي بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام | ٤٦ |
| الأمر الثاني / التعزي بمن أصيب بمصيبة أعظم | ٤٨ |
| الأمر الثالث / تذكر نعم الله | ٥٠ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| الأمر الرابع / تذكر أن مرارة الدنيا هي حلاوة الآخرة وبالعكس | ٥٣ |
| الأمر الخامس / الاستعانة بما ورد في الأدلة أنه مُذهب للحزن وجالب للأنس والراحة ومن ذلك : أولاً/ الصلاة | ٥٧ |
| ثانياً: قول ما ورد من الأدعية والأذكار المذهبة للحزن والجالبة للأنس والتفريج ومن ذلك | ٦٢ |
| فائدة ذكرها ابن القيم في الطب النبوي | ٦٥ |
| باب من ثمرات بعض أنواع البلاء: ١- الحمى | ٧٨ |
| ٢- فقد الولد | ٧٩ |
| ٣- فقد العين | ٨٢ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| باب في أن أعظم شفاء هو القرآن | ٨٦ |
| ١ - قراءة الفاتحة | ٨٨ |
| ٢ - المعوذتين | ٩٣ |
| باب في (ما يقول من أصيب بمصيبة ) | ٩٥ |
| باب في ذكر بعض قصص أهل البلاء ثم العاقبة الحسنة لهم بصبرهم واحتسابهم ١/ قصة أيوب | ٩٩ |
| ٢/ قصة أم سليم مع زوجها | ١٠٤ |
| باب في انتصار الإسلام وأهله والتفاؤل بذلك وانخذال الكفر وأهله | ١٠٨ |
| فائدة ذكرها ابن القيم في علاج المصائب وهي كالملخص لهذا البحث | ١١٩ |

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١٠٧٦٧
ردمك: ٦-٨١٩٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨